مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد(٨) – العدد (٤)، خريف ٢٠٢٣
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

دعوة رواد القصة العراقية لتغيير الاتجاه الاجتماعي

م.د.سرود كنعان شاكر
قسم اللغة العربية، كلية التربية، جامعة صلاح الدين ، أربيل، اقليم كوردستان، العراق
srood.shakir@su.edu.krd

معلومات البحث

تاريخ البحث:
الاستلام:٢٠٢٢/٩/١٨
القبول:٢٠٢٢/١١/٢٠
النشر:خريف ٢٠٢٣

الكلمات المفتاحية:
Social trend, Story pioneers, Vision stories, Desire for change, Art story, Literary content, Literary form

Doi:
10.25212/lfu.qzj.8.4.28

الملخص

عانى المجتمع العراقي في النصف الأول من القرن العشرين من تفشي الجهل والأمية، فلم يكن للتعليم في هذه المُدّة شأن يذكر، فقد كان التعليم في العراق في هذه الحقبة مقصوراً على القلة، وذلك في بعض مراكز المدن.
لذا نرى أن المثقفين ومنهم القصاصون عانوا مشاكل عديدة منها ما يتصل بالنظام السياسي الرديء، ومنها ما يتصل بالواقع الاجتماعي المتخلف والمزري الذي كانوا يعيشون فيه. فسعوا إلى إصلاحه من خلال كتاباتهم، حتى صارت الكتابات القصصية في هذه المدة عبارة عن مقالات اجتماعية إصلاحية يحاول فيها القاص جهد استطاعته تقديم الحلول للواقع الاجتماعي الرديء. ولكن لم يستطع القاص الكشف عن الجذور الحقيقية لهذا التخلف ومحاولة علاجها، لذلك نرى أن مساعيهم قد اتجهت إلى حركة إصلاحية يدعون إليها من خلال كتاباتهم. ولأن الإحاطة بكل المحاولات ليست في وُسْع هذا البحث، فسنحاول تسليط الضوء على بعض منها، لإبراز الجهود المبذولة من قبل طبقة رواد القصة العراقية في تغيير الواقع الاجتماعي الرديء.

1. المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيد الخلق محمد (صلى الله تعالى عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد..

إن استمرار القصة العراقية لأكثر من قرن، بهذا العطاء، دلالة على أنها أصبحت حاجة فكرية وإنسانية ترتبط عموما بنوعية الحياة التي تعرضها، كما لبث للفرد القارئ حاجاته الخاصة، الثقافية أو الإجتماعية، بحيث شكلت لديه وعياً بمجريات الأحداث التأريخية والاجتماعية، التي هو جزء منها.

وبناء على هذه الوضعية –استمرار القصة المتواصل بوصفها فناً، وإقبال الناس على قراءتها وكتابتها-، تصبح عملية النقد موجودة فيها، بمعنى آخر أن النقد كان هو الآخر ينمو بنمو الشكل والمضمون الفكري

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد(٨) – العدد (٤)، خريف ٢٠٢٣
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

خلال عمره كله. لتصبح عملية النقد هنا هي عملية البحث عن العلاقة بين القصة بوصفه فناً وبين المتلقي لكونه عنصراً مجتمعياً، وانساناً واعياً فكرياً.

وخلال مسيرة الانسان الإجتماعية والفكرية، نجد أن هذه المسيرة قد أفرزت حاجات أكثر تعقيدا، فرضت على القارئ والكاتب مواقف أكثر جدية، وكان على الفن القصصي أن يبرز هذه المسيرة، وأن يجعل منها نقطة مضيئة لكشف أبعاد نفسية وسياسية واجتماعية، لذا ازداد لدى القاص الوعي بما يحيطه، حتى اندمجت في ذاته صورة المجتمع الجديد وهي تنهض في الثوب القديم، مع احتمالات تغيير الشكل الفني للقصة، كلما كانت هناك أحداث سياسية واجتماعية صاخبة.

ولعلنا هنا ندرك الأهمية التي تلقى على عاتق الفن الأدبي عموما، وهو يواكب مسيرة المجتمع، وقد لا نشعر بهذه الأهمية آنياً، بَيْدَ أن ذلك يسري في وعينا ويتخذ له مواقع لا يمكن إغفالها بالمرة. فمن بين الحاجات التي تحدثت عنها القصة العراقية، أو أشارت إليها هي الإصلاح الإجتماعي. فقد كان معظم قصص الرواد متضمنة للحزمة الإصلاحية التي فرضتها تأثيرات اجتماعية من جهة، وما يقرأه من قصص لكتاب أجانب من جهة أخرى، فضلاً عن أن الكاتب نفسه –ونتيجة تميزه الثقافي- كان وعيه بالواقع يتطلب تجسيدا لحاجاته الداخلية التي كانت مؤثرة فيه، فقضية الإصلاح الإجتماعي كانت من الوضوح على نحو جعلت القصة ترزح تحت وطأة المقالة، وتحت إشراف المنهج الصحافي لقالب القصة.

كذلك نجد من بين السمات التي تميزت بها القصة العراقية، انها أصبحت (قضية سياسية) خاصة في مرحلة الخمسينات، فالقصة في هذه الحقبة أصبحت تتطرق إلى موضوعات سياسية بشكل غير مباشر، فعرضت ما يسمى بـ(الموقف)، الموقف الفكري، والفني، والمبدئي. فالقصة الخمسينية إجمالا كانت تعطي أبعادا فكرية متنوعة، ولكنها رغم ذلك لم تعط أبعاد المرحلة كلها، وذلك يعني أن استمرار النمط الذي كتب به كتاب الخمسينات إلى الآن دليلٌ على أن القضايا الإجتماعية والسياسية ما تزال بحاجة إلى كشف أدبي لها. فنحن في هذا البحث المتواضع أردنا تسليط الضوء على دعوة رواد القصة العراقية إلى تغيير الاتجاه الاجتماعي عن طريق مضامين قصصه أو الأفكار التي كان يعرضها.

فالبحث مقسم إلى تمهيد ومبحثين وخاتمة وقائمة للمصادر والمراجع، ففي التمهيد تحدثنا عن الواقع الإجتماعي والسياسي والفكري، والتغيرات الإجتماعية الحاصلة في المجتمع العراقي في مطلع القرن المنصرم على أثر الحركة الفكرية فيه وخصوصاً عند طبقة كتاب القصة.

وأما في المبحث الأول، فقد تحدثنا عن نمط قصص الرؤيا، ومدى أثر هذه القصص في تغيير الاتجاه الإجتماعي، وللتوضيح تحدثنا عن أفكار ومواضيع معظم قصص الرؤيا المكتوبة في تلك الحقبة الزمنية من تأريخ العراق.

وفي المبحث الثاني أسهبنا في الحديث عن أثر القصة الفنية في تغيير الاتجاه الاجتماعي من ناحية الفكرة والمضمون لدى جيل العشرينات والثلاثينات، ولتوضيح ذلك الأثر تطرقنا إلى دراسة قصة (نكتة العمامة) لمحمود أحمد السيّد، كي تتضح لدينا الرؤية عن أثر القاص في تغيير الاتجاه الاجتماعي من ناحية الفكرة والمضمون، هذا في القسم الأول من المبحث الثاني. وأما في القسم الثاني من هذا المبحث، فقد تحدثنا عن المرحلة التالية لمرحلة الثلاثينات وهي مرحلة الأربعينات والخمسينات، لتوضيح مدى أثر أفكار القاص

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد(٨) – العدد (٤)، خريف ٢٠٢٣
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

العراقي ومضامينه في مسألة التغيير الاجتماعي قياساً بالمرحلة السابقة، والتطورات والتغييرات الحاصلة في هذا الميدان، ولتوضيح ذلك اعتمدنا على قصة (الوجه الآخر) لفؤاد التكرلي، عمدنا إلى اختيار قصة لكل حقبة كون الدراسة بحثا، ومعلوم أن عدد صفحات البحوث محددة.

وفي خاتمة البحث، لخصنا مجمل ما توصلنا إليه من نتائج، خلال دراستنا. وأخيرا، ذكرنا قائمة بأسماء المصادر والمراجع المستخدمة في كتابة بحثنا.

توطئة:

لا تختلف المكونات الاجتماعية والفكرية والاقتصادية في المجتمع العراقي في مطلع القرن العشرين عما كانت عليه في القرن التاسع عشر إلا بنسب متفاوتة، ويمكن تعميم هذه النسبة بشيء من التجاوز حتى الحرب العالمية الثانية، وحقيقة ما حصل خلال هذه المدة ليست إلا تغييراً نسبياً بطيئاً في أحايين كثيرة تسهم فيه بعض الأحداث السياسية، كإعلان الدستور العثماني 1908 م الذي لم يترك أثراً إلا في صفوف الفئة المثقفة، وكاحتلال الإنجليز العراق في أثناء الحرب العالمية الأولى التي استشرت آثارها في أغلب طبقات الشعب العراق، ينظر: (نوار، عبدالعزيز سليمان، 1968م، ص44-51).

ومهما يكن من إطلاق الأحكام في عدِّ إعلان الدستور العثماني بداية عهد جديد في التفكير العربي عامة والعراقي خاصة، فإنَّ هذا يرجع في الحقيقة إلى تغيرات بطيئة سابقة لإعلان الدستور، ولذلك قابل المثقفون العراقيون إعلان الدستور بحماس عظيم ورحبوا به في قصائدهم وأشعارهم وخطبهم، وتحفزوا على أثر ذلك لتأسيس مجموعة من الأحزاب السياسية أسهمت في بث بذور الوعي في صفوف المتعلمين على قلتهم، ينظر: (د. أحمد، عبدالإله، 1986، ص: 16-18).

وتمثل حركة الدستور بارقة أمل كانت آثارها واضحة على المثقفين في المجتمع، ويمثل الدستور ظاهرة انفتاح المجتمع العراقي على العالم الخارجي لأول مرة، ولكنه على كل الأحوال لم يظهر تأثيره إلا في مراحل لاحقة، ونلمح في النقد الأدبي بعض الإشارات التي توهم في ظاهرها بالتأثر الوافد، والتحدث عن روائيين ومبدعين غربيين، أو محاولة التحدث عن نتاجات أجنبية تلخيصاً أو نقداً، غير أنَّ احتلال الإنجليز العراق أحدث اضطراباً عنيفاً في صفوف الشعب العراقي، تحول إلى مواجهة قتالية بين أفراد الشعب والمستعمر، وكان الشعب يعي خطورة هذا الاحتلال، وأنه يمثل تسلطاً عليه، ولذا بدأت بوادر تمهيدية للقيام بشيء ما، ثم تفجرت بعد ذلك ثورة كبرى في صيف 1920م، ينظر: (أحمد، إبراهيم خليل و حمدي، جعفر عباس، د.ت، 20-23).

ونرى أنَّ ثورة العشرين تمثل ظاهرة اجتماعية معقدة تمتد جذورها إلى ما وراء صيف سنة 1920م، وأن أدواراً تمهيدية سبقت الثورة المسلحة... فحركة الوعي الفكري التي بذرت بذورها في فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى، وتأسيس الجمعيات والأحزاب... كلها عوامل ممهدة لثورة سنة 1920م، وأجبرت ثورة العشرين الاستعمار البريطاني على التخلي عن الحكم المباشر للعراق، وتنصيب ملك عربي مسلم! هو فيصل بن الحسين، وبذلك تأسست أول حكومة عربية! في العراق، ينظر: (د. أحمد، عبدالإله، 1986، ص:78-79)، وينظر: (د.عزالدين، يوسف، 1974، ص: 28-30).

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد(٨) – العدد (٤)، خريف ٢٠٢٣
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

ولم تسهم الحكومة في إحداث تغييرات جذرية في الواقع، لأسباب معروفة، كما أنّ الأغلبية الساحقة من الشعب العراقي كانت تمتهن الفلاحة، ويحكمهم بشكل مباشر (المالكون) المرتبطون بنظام الدولة، ويرتبط نظام الدولة بهم أيضاً، ولذلك فهم يستعبدون الفلاحين مقابل نسبة ضئيلة جداً من المحصول التي تذهب هي الأخرى هدراً إزاء الديون المتراكمة عليهم من (المالكين)، فضلاً عن تفشي البطالة المقنعة. ويبدو جور (المالكين) وظلمهم واضحاً لأنه لا قانون يحمي الفلاح، وبإمكان المالك أن يطرد الفلاح متى أراد ويلاحقه بالديون التي أخذها ليأكل بها، وليعيش، وقد حكمت بعض القوانين عليه بالبقاء في خدمة الإقطاعي حتى يسدد ديونه، ولا يجوز لمالك آخر أن يستخدمه ما دام مديناً بمبلغ لمالك آخر، وندرك خطورة ذلك أيضاً إذا عرفنا أنَّ دخل الفلاح العراقي كان زهيداً جداً يتراوح ما بين 10 دولارات و 70 دولارا في الشهر، ينظر: (عبدالله، إيناس سعدي، 2014م، ص491).

وعانى المجتمع العراقي أيضاً من تفشي الجهل والأمية، إذ لم يكن للتعليم في الفترة العثمانية (شأن يذكر)، وإذا كان تعليم البنين أيام العثمانيين مهملاً أشد الإهمال فما هو حال تعليم البنات في ذلك العهد، وكان الجهل متفشياً بين صفوف الفلاحين بشكل كبير، بسبب مكافحة المالكين له، لأنهم يرتعبون من تعليم الفلاح خوفاً من أنْ يشعر بالغبن الواقع عليه من قبلهم، وينحصر التعليم، على قلته، في بعض مراكز المدن، ولعلنا ندرك خطورة هذا إذا علمنا أنَّ تعداد السكان لسنة 1947م يبين أنَّ نسبة الأمية في العراق كانت تتجاوز 90.%، ينظر: (عبدالله، إيناس سعدي، 2014م، ص551)

وفي ضوء هذا يعاني المثقفون ومنهم القصاصون من مشاكل عديدة، منها ما يتصل بطبيعة النظام السياسي، ومنها ما يتصل بالواقع الاجتماعي المتخلف الذي يعيشون فيه، ويسعون إلى إصلاحه، ولكنهم لم يستطيعوا الكشف عن الجذور الحقيقية لهذا التخلف ومحاولة علاجها، ولذلك اتجهت محاولتهم إلى حركة إصلاحية يدعون إليها، وقد انعكست آثارها على تحديد الوعي الفكري، وتحديد معالم الحركة النقدية في العراق في هذه المرحلة (يراجع للإطلاع على واقع المجتمع العراقي والحركة الأدبية والعلمية: س.د. مقال: الثورة الأدبية، جريدة العراق، العدد: 769، 1922، والعدد: 971، 1923، كما يلاحظ أيضا مقال: حياتنا العلمية والأدبية، جريدة الأمل، العدد: 30، 1923، والمصباح، العدد: 4، 1924، ص: 3).

وتحدد الوظيفة التعليمية أهمية الأشكال القصصية ودورها في الواقع الاجتماعي، فالأعمال القصصية تسعى إلى تهذيب الأفكار والعواطف وانتقاد العادات الباطلة والأخلاق الفاسدة والأوضاع الضارة، وتتجه الوظيفة إلى الفكر مرة، وإلى الذات مرة أخرى، وإلى الواقع الاجتماعي مرة ثالثة، وتتباين أنماط معالجتها، إذ يعمد القاص -من جهة الفكر والذات- إلى (التهذيب) الذي يقود إلى لون من ألوان البناء، ويعمد من جهة الواقع الاجتماعي إلى (الانتقاد) الذي يقود إلى شكل من أشكال الهدم، ويولي الناقد (الفكر) عناية خاصة تفوق عنايته بـ(الذات) التي تتأخر عنه في الرتبة، ليكوّنا الأساس الذي يصدر عنه الناقد في تأمل واقعه، فالانتقاد محاولة لتجاوز ما هو سلبي في الواقع، والتهذيب سَعْيٌ لإرساء ما هو إيجابي في الفكر والسلوك. وتتحدد علاقة القاص بواقعه -في تصور الناقد- من خلال بعدين، هما، الأصل: الذي يمثله الواقع، والصورة: التي تمثلها الأشكال القصصية، ويتضح هذا من خلال التأكيد على أنْ تصف القصة الحياة الاجتماعية على ما هي عليه؛ أي محاكاة الواقع بأبعاده الإيجابية والسلبية على السواء، أو أنْ تصف التفسخ

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد(٨) – العدد (٤)، خريف ٢٠٢٣
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

الأخلاقي والسياسي الذي مني به العراق في مجتمعه وجهاز حكومته، أي تأكيد القاص على الجوانب السلبية الاجتماعية والسياسية، أو أن تكون القصة صورة ناطقة للحياة الواقعية، إنَّ عناية هذه النصوص بمحاكاة أحد البعدين السلبي أو الإيجابي في الواقع، أو كليهما معاً، يقود إلى نتيجة يبدو فيها القاص محايداً إزاء واقعه، أي أنه يولي أهمية خاصة لتصور مثالي يجعل الفكر في المقدمة، والذات والواقع الاجتماعي في المراتب التالية له، وهذا يعني أنَّ الفكر هو الذي يحدد الزاوية التي يصدر عنها القاص في أثناء تأمله الواقع، وفي أثناء محاكاة أبعاده السلبية والإيجابية على السواء.

وهذا من شأنه أن يعلي من دور العقل، وهو لا يعني صواب الرأي فحسب، بل يعني كذلك موافقة هذا الرأي للتقاليد والعرف السائد، مما تنعكس آثاره على كيفية تحليل الأشكال القصصية، فالقاص -في تصور الناقد- يفكر في تهيئة الأفكار والآراء التي يبني عليها القصة، قبل أن يفكر في هيكل القصة نفسها وعقدتها وحبك حوادثها، وبهذا نكون إزاء بناءين –أحدهما سابق وهو بناء الفكر، وثانيهما لاحق وهو بناء القصة، وهما مترابطان ارتباط المعلول بعلته، وعلى صعيد القصة يكون الفكر سابقاً لبنائها ومستقلاً عنها أيضاً، ويترتب على هذا تحكم العقل في حوادث القصة لتكون -لدى رفائيل بطي- متسلسلة الواحدة تلو الأخرى بأسلوب يرضاه المنطق، ليصل الأمر حداً -لدى أنور شاؤل- في الاتساق والتناسب والدقة، ويصل هذا التفكير ذروته في الصنعة عبر تماثل القصة القصيرة و(إنشاء عمارة) التي تعني تماثلاً بين المشبه (القصة) والمشبه به (البناية) بأسلوب هندسي يتحكم فيه المنطق إلى أبعد الحدود.

وتقود الأبعاد السابقة (التعليم، والمحاكاة، والصنعة) إلى تأكيد دور العقل في تحديد وظيفة القصة وماهيتها وأداتها وبنائها، وتأسيساً على هذا تتخصص القصة شأنها شأن العلوم بـ)دراسة نفسيات الناس وأخلاقهم وعاداتهم وحالاتهم الاجتماعية مع نقدها بالطريقة الموضوعية -objective-، وهذا التخصص في دراسة المجتمع سيكولوجيا وأخلاقياً واجتماعياً، يعني في أبرز جوانبه تعطيلاً للأبعاد الذاتية، والإعلاء من نـزعة تجريدية تجعل العقل أداتها في الكشف عن قضايا موضوعية محددة، وقد يوحي لنا هذا الشأن بالجمع بين البعدين العلمي والفني في آن واحد، غير أنَّ تصـوراً لرائد من رواد القصة في العراق -محمود أحمد السيد- يرى في الأشكال القصصيـة (دراسة ليس إلا)، ليؤكد الأبعاد الموضوعية التي يوصلنا العقل إليها، وتأصيلاً على هذا، رفض محمود أحمد السيد النتاجات القصصية التي تعتمد الخيال، لأنها تنأى عن هذه الموضوعية المحكومة بالعقل، ينظر: (الظريفي، حسين، مقال تطور الأدب، جريدة: الأمل، العدد: 4، 1923، ومقال:الحركة الفكرية في البلاد العربية قبس على ضفاف الرافدين، مجلة الحرية، الجزء:5، 1924، ص: 211، وخالد، أ، مقال: ثلاث صور لشعر العراق المعاصر، الإستقلال، العدد: 841، 1926).

وتنعكس آثار الموضوعية على الوصف القصصي وحوادث القصة؛ لأنها تفرض على القاص نمطاً من الوصف الهادئ الرزين للنوازع الإنسانية، وتُلزمه بأن تكون حوادث القصة قريبة من العقل والمنطق، ولذا رأينا رفائيل بطي يثني على محمود تيمور لأنه يرمي في قصصه إلى القضاء على التقاليد البالية وإحلال الأحكام العقلية مكانها.

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد(٨) – العدد (٤)، خريف ٢٠٢٣
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

وحين يتفاعل القاص مع واقعه الاجتماعي يعي تماماً أنَّ صورة المجتمع ليست متوافقة مع مكوناته الذهنية، فتكون ردود فعله متوافقة مع ما في المجتمع من حسن، ومتغايرة مع ما فيه من قبح، بمقدار انسجام هذه الردود أو افتراقها عن العقل، ولهذا فهو يسعى إلى توظيف إمكاناته الفكرية كلها من أجل النهوض بهذا المجتمع، ويمكن أن يتم شيء من هذا بواسطة القصص والروايات، أو يمكن لهذه الأشكال القصصية أن تسهم في إصلاح ما فسد من أخلاق وعادات وتقاليد اجتماعية، وهذا يعني أنَّ القاص يسعى إلى الكشف عن مواطن الحسن والقبح في الواقع الاجتماعي، غير أنَّ الحسن والقبح قيمتان فكريتان موجودتان في الذهن أصلاً، ويبحث القاص عن صور لهما في الواقع، وأن هذه الوظيفة لا يمكن أن يحققها أي فرد، بل هي اختصاص صفوة الأمة التي ينبغي عليها تشخيص داء الأمة، ومن ثم وصف لها العلاج، ومن هنا جاء تشبيه القاص لتخلف المجتمع بالأمراض المزمنة التي تقتضي وجود مصلحين قادرين على أن يعوا الواقع ليكونوا (أطباء حاذقين)، ولكنهم -كما يرى القاص- (نفر قليل والقليل كالعدم)، وهذا يعني أنَّ وظيفة القاص فكرية أولاً، وإصلاحية ثانياً، لأن مجتمعه الذي يعيش فيه يعاني من أمراض عديدة تقتضي منه حذقاً لإنقاذه.

وفي ضوء هذا يمكننا تفسير تصورات القاص التي تبحث عن أنماط مثالية معينة ينبغي تحقيقها في المجتمع، ولهذا يشترط محمود أحمد السيد في الفن عموماً والقصة خصوصاً أن ترمز إلى (المثل الأعلى) الذي يتحدد لديه بالهدف البعيد الذي يصبو إليه المثاليون على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم حتى يتحقق الرقي الإنساني والسعادة التامة، ويتضح من هذا أنَّ المثال يعني قيمة ذهنية تجريدية، تعني الحسن لا القبح، كما أنه يمثل غاية يسعى القاص لتحقيقها في الواقع، ويشترك فيها مع المثاليين عموماً.

ولهذا نرى أنَّ العراق قد بدأ يشهد في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين تغيرات اجتماعية عميقة ولكن غير مرئية تتمثل في التفكك التدريجي للعلاقات البطرياركية وللنظام الاقطاعي التقليدي الذي كان يستظل بحراب السيطرة العثمانية، وفي نشوء طبقات وقوى اجتماعية جديدة كالبرجوازية التجارية والعمال وبداية مظاهر التحديث في المجتمع الناشئة عن تأثير النظام الرأسمالي العالمي ونفوذ شركاته الأجنبية، وعن الاحتكاك بالغرب بشكل عام (ينظر: ثامر، فاضل، 1978، ص:285).

إنَّ عملية إعادة تشكيل المجتمع على وفق ترتيب طبقي واجتماعي جديد كانت من أبرز مظاهر التغير الاجتماعي الذي اتخذ فيما بعد شكلاً ثورياً في ثورة العشرين التي كانت الرد الثوري على محاولة فرض الهيمنة الاستعمارية الجديدة على العراق واعاقة حركة التغيير الاجتماعي. رغم أنَّ مسار التغيير الاجتماعي هذا لم يكتب له الانتصار بسبب فشل ثورة العشرين، إلا أنَّ البنية الداخلية للمجتمع بدأت تتغير، وتهدم الكثير من الأسس القديمة للمجتمع الإقطاعي، ونشأ ما يصطلح عليه بالمجتمع شبه الإقطاعي (شبه مستعمر)، وهذا الواقع الجديد قد أدى بدوره إلى تغيير تدريجي في رؤية الناس وفي قناعاتهم وأفكارهم، وهنا أخذ المفكرون والمصلحون والمثقفون يمارسون دورهم في الدفاع عن حركة التغيير الاجتماعي وتوكيد قيمها وأخلاقياتها، ومنهم كتاب القصة الذين حاولوا أن يلعبوا دوراً في هذا المجال (ينظر: ثامر، فاضل، 1978، ص: 286).

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد(٨) – العدد (٤)، خريف ٢٠٢٣
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

ولهذا نرى أن معظم النقاد يذهبون ألى أن القصة هي خير تعبير عن العصر فهي الحالة الفنية لإعادة صياغة الدافع بشكل مركز ومكثف، وفيها الإبداع والخيال، ما يجعلها قادرة على الرقي بوجدان المتلقي وذوقه، وفيها من الواقع ما يجعل المتلقي يكاد يتعرف على شخوصها ويحس بتفاصيل حياتهم (الرميحي، محمد، 1989، ص8).

يقال: بأن أعذب القصص أدقها في تصوير الحقائق في أسلوب فني جميل، بخلاف الشعر الذي يقال فيه: إن أعذب الشعر أكذبه. فتعرفنا القصة بالحياة وتفاصيلها وتقدم لنا دروساً ما ينير لنا الطريق (ينظر: الطناحي، طاهر، 1980).

ولهذا تعد القصة من أقدر الفنون النثرية تعبيراً عن حركة المجتمع وواقعه المشحون بالأحداث، وهي أداة توصيل وكشف لكشف الحقائق الجوهرية، التي تدفع إلى خلق جديد (مريدان، عزيز، 1980، ص23).

والقصة الاجتماعية هي تلك القصص التي يعالج الكاتب فيها جانباً من جوانب المجتمع كالفضائل الخلقية وبعض أمراض المجتمع (ينظر: سلام، محمد زغلول، د.ت، ص 104-105).

لقد قدم القاص العراقي عدداً من القضايا الاجتماعية، كقضية العادات والتقاليد الاجتماعية في مجتمع القرية والمدينة، وقضية المرأة وأسرتها، ومعاناة الإنسان في مجتمعه، وقضية التعليم وغيرها. فنشأة الكاتب قد لعب دوراً محورياً في اتجاهه شطر المجتمع، وقضاياه في قصصه (عبدالعليم، مصطفى فاروق، 2008، ص15).

لقد حاول القاص العراقي من خلال القضايا التي طرحها في قصصه تقديم رؤى اجتماعية بناءً على العلاقة التي تربط بين الأدب والمجتمع، فالمعلوم أن الأدب يعبر عن المجتمع وأحواله، والفكر الإنساني يؤكد على الصلة بين الأدب والمجتمع وأن الأدب هو المعبر عن أحوال المجتمعات فهو يصور أوضاعها فنياً ويبشر بأحلامها حيناً آخر (ينظر: الزهراء، فاطمة، 1984، ص5).

فإذا كانت القصة ذات الطابع الاجتماعي تهدف أساساً إلى نقل العلاقات بين أفراده، والظواهر الاجتماعية، والتعبير عن آمال وآلام الجماهير، وما يقع في هذا المجتمع من تطورات وتحولات كان لزاماً على الأديب (القاص) أن يشعر بقضايا مجتمعه، ويعبر عنها بكل صدق في نقله لهذا الواقع حتى إن قارئ القصة الاجتماعية ليشعر بأن ما تناوله هو جزء من الحياة الواقعية (ينظر: عبدالعليم، مصطفى فاروق، 2008، ص17).

ولقد أدرك القاص العراقي هذا المفهوم، فنراه يصور ما شهده المجتمع من تحولات حضارية واجتماعية، وما شهده من وقوع تغييرات فكرية وثقافية بالمعنى الاجتماعي التي انعكست بدورها على أساليب الحياة الاجتماعية.

فالأديب لا يستطيع أن ينفصل عن مجتمعه ويسكن سفح الجبل، فلابد له أن يخترق القضايا الاجتماعية ببصيرته، وأن يعبر عنها بوجدانه الصادق.

وهذا يتطلب من الأديب أن يكون على قدر كبير من الثقافة بأمور الحياة المتعددة والمختلفة كي يغوص في أعماق المجتمع الذي يعيش فيه، ويعبر عن آلامه وآماله وعذاباته، ويؤيد القيم الحسنة ويناهض الرذيلة،

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد(٨) – العدد (٤)، خريف ٢٠٢٣
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

وينفر منها، ويثبت بحبل الأخلاق الحميدة والمتينة، والقارئ لقصص فترة الرواد يلحظ هيمنة المضمون الاجتماعي على موضوعات قصة تلك الفترة، وذلك لحاجة المجتمع الماسة لهذه الموضوعات.

المبحث الأول: قصص الرؤيا والدعوة إلى تغيير الاتجاه الاجتماعي:

عندما بدأ الفن القصصي يتسرب إلى المجلات والجرائد، استساغ بعض الكتاب أسلوبه، فرغبوا في الإسهام في هذا الأسلوب الجديد، ولكنهم خافوا أن يتهموا بالتسلية واللهو والعبث، لأن هذا الفن الجديد لم يعد من الفنون الأدبية الرفيعة.. وكأنه سُبَّةٌ لا يرضاها المفكر لنفسه، ولأنه ليس أسلوباً جاداً في الحياة. إنه اختلاق وكذب، يضاف إلى هذا أنه فن غربي لا يسمح له أن يزاحم أساليب الكتابة العربية التقليدية.. ومن الواجب الديني والقومي، الوقوف أمام هذا التيار الجديد كراهية للغرب الذي يريد أن يهدم الإسلام والعرب. فأخذ الكتاب يحلمون بأشياء ويسجلونها على الورق، وما دامت حلماً، ليست حقيقة، ورؤيا وليست واقعا فلا ضير منها ولا سيما أن للأحلام مكانة مقبولة عند الناس ويصدق كثير منهم حدوثها ووقوعها مهما كان نوع هذا الحلم وشكل الرؤيا فوجد الماتب خير سبيل يختفي وراءه أن يتخذ الحلم غطاء لرغباته والرؤيا وعاءً لرأيه، وعرفت هذا اللون من القصة بقصص الرؤيا (عزالدين، يوسف، 1974، ص: 31).

وقد أعجب كتاب العراق بهذا النوع من القصص، فإذا أراد كاتب أن يكتب قصة أو رواية اتخذ اسلوب قصص الرؤيا لمعالجة موضوعات جيدة تخدم الجانب الاجتماعي والفكر القومي والوعي العربي والروح الإسلامي إن عدد القصص التي كتبت تحت ستار الرؤيا أو الحلم محدودة لأن الكتاب كانوا محدودي العدد منهم عطاء أمين ومحمد فائق الكيلاني ومحمد بسم الذوبب ولم يذكر بعضهم اسمه، ولكنها ظاهرة من ظواهر التطور في الفن القصصي العراقي.

وبعد مراجعة معظم قصص الرؤيا التي كتبت في هذه المدة -فترة ما بعد إعلان الدستور العثماني- رأينا أنّها تتشبث بالوهم والخيال للتبشير بأهمية تغيير الاتجاه الاجتماعي، دون محاولة مواجهة الشروط الموضوعية للتغيير على صعيد المجتمع والواقع. فالقاص يلجأ إلى الحلم في محاولة تعويضية عما يصعب تحقيقه في الواقع ولتحقيق واقع رمزي يهدف إلى تحفيز وعي الناس وتفكيرهم بالحاجة إلى أهمية تغيير الاتجاه الإجتماعي (أحمد، عبدالاله، 1986، يقول عبدالاله: "قصص الرؤيا نمط من القصص يحاول كاتبها فيه أن يكشف من خلال حلم يراه في نومه عن مستقبل العراق المظلم. وهو أمر يبدو أنّه كان يبهض كاهل الواعين آنذاك ويقدم الحلول التي يراها كفيلة بإنهاضه وتطويره إلى ما يتمنى أن يكون عليه من رقي وتقدم"، ص: 34-35)، فمعظم قصص الرؤيا التي كتبها (عطاء أمين) مثلاً وبشكل خاص قصته (كيف يرتقي العراق-رؤية صادقة) التي نشرها عام 1919 كانت تعبر عن هم التغيير، كما أنَّ (الرواية الإيقاضية) لـ(سليمان فيضي) هي الأخرى تحمل هم التغيير والتحديث والرغبة في (إيقاظ الناس من غفلتهم!) (أمين، عبدالقادر حسن، 1977، ص: 37-38).

وامتلأت أغلب تجارب محمود أحمد السيد المبكرة بدعوات الإصلاح والتغيير مشيرة إلى التأثير الكبير الذي كانت تمارسه (المقالة) على التجارب القصصية في تلك المدة. إلا أننا هنا لا نريد أنْ نتجاهل مساهمة القاص العراقي خلال هذه المرحلة، خاصة إذا ما أخذنا في الحسبان مستوى وعيه وخبرته وثقافته،

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد(٨) – العدد (٤)، خريف ٢٠٢٣
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

ومستوى نضج وتطور المجتمع العراقي آنذاك. ففي ظروف مختلفة كتلك لم يكن أمام القاص إلا أنْ يتكئ على الوسائل الممكنة لتحقيق مهمته. وهكذا بدت له قصص الرؤيا مجالاً ملائماً للتعبير عن وعيه لأهمية التغيير الاجتماعي، كما اختلطت لديه النزعة التعليمية التي ورثها من فن المقالة بالكتابة القصصية، مدفوعاً في ذلك بهم التغيير والإصلاح. ويلاحظ الدكتور عبدالإله أحمد عند حديثه عن الرواية العراقية في مرحلتها البدائية الأولى أنَّها كانت " تتجه وجهة اجتماعية جادة، مستهدفة بذلك أنْ تَخْلُصَ لغرض من الأغراض التي تكتب من أجلها المقالات الاجتماعية الإصلاحية، فهي بذلك تختلط بالمقالة الاجتماعية وتعتبر امتداداً لها" (أحمد، عبدالاله، 1986، ص: 33)، وهو كما نرى ينطبق على وضع القصة القصيرة .

ولهذا فقد اتسمت التجارب القصصية في الأدب العراقي منذ البداية بتلك السمة الاجتماعية (د.الطاهر، علي جواد، 1975، ص: 148-149) التي أكدت عليها أغلب الدراسات والبحوث النقدية ومنها دراسة الدكتور علي جواد الطاهر في كتابه (في القصص العراقي المعاصر) التي جعلتها تصب في مجرى الكتابات الإجتماعية، إلا أنّها بسبب هيمنة النزعة التعليمية والأخلاقية عليها وبسبب ضعف المستوى الفني فيها عجزت عن تحقيق إيصال جمالي فكري، واكتفت بالغالب بتحقيق إيصال فكري مباشر أسوة بما يحققه فن المقالة من تأثير، وبشكل أدق ما يحققه (المقال القصصي) من تأثير في وعي الناس، وهذه خاصية مهمة تجب ملاحظتها عند دراسة تأثير القصة في مسار التغيير الاجتماعي وفي وعي الناس. كما يمكن ملاحظة أنّ هذه الكتابات القصصية بسبب هذه الحقيقة كانت تقع في تناقض، فهي من جهة تحمل هم تغيير والتطور، إلا أنها من الجانب الآخر لم تستطع أن ترتقي فنياً وتعبيرياً، ولم تترك التغيرات الاجتماعية بعد بصماتها الواضحة على البنية الداخلية للعمل القصصي، وهو أمر كان ينطبق إلى حد كبير على التجارب الشعرية في تلك المدة التي كانت تحمل وعياً اجتماعياً وسياسياً متقدماً ورغبة عارمة في التغيير والتجديد، إلا أنّها من الجهة الأخرى ظلت أسيرة الأدوات التعبيرية القديمة التي كانت متخلفة كثيراً عن حاجات التغيير الاجتماعي (ينظر: النصير، ياسين، 1975، ص: 10-11).

يقول الدكتور يوسف عزالدين في كتابه القصة في العراق جذورها وتطورها: "إنَّ أول ملاحظة يراها الدارس، أن كُتّاب الرؤيا اعتمدوا على تجاربهم الخاصة محاولين مزج ما يرونه في النوم بواقع الحياة ومشكلات المجتمع في العراق وأكثرهم يداعب النوم عينه وينام فيرى الحلم وبذلك يتخذ أكثر من عذر، عذر كتابة القصة أولاً والتخلص من سيطرة القانون وقد يلجأ بعضهم إلى الرمز" (عزالدين، يوسف، 1974، ص 33-34).

فَلنلقِ نظرة على مضامين بعض قصص الرؤيا التي كتبت في تلك المدة ولنبدأ بـ(محمد فائق الكيلاني) الذي يقول في مقطع من مقاطع رؤياه (رؤية أدبية): " أبصرت نقعاً عظيماً ثار من جوف الفلاة، وما لبث أن انقشع فرأيت حيدراً وخيتعوراً وخنوصاً تتواثب حتى صارت عند أسفل الوتد، وأنا أتتبعها لأرى نتيجة تواثبها. ولما أنهكها التعب واللغب أخذ الخنوص يتهكم من هذين الحيوانين كما يتهكم الجاهل من الرجل العاقل، وهو يتهجم عليهما تارة من اليمين وطوراً من الشمال، وهما يتذللان خوفاً من جوره واعتسافه كما يتذلل المظلوم بين يدي الظالمين" (الكيلاني، محمد فائق، 1913، قصة) .

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد(٨) – العدد (٤)، خريف ٢٠٢٣
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

نرى أنّ الكاتب قد تأثر بأسلوب كليلة ودمنة، أو هو متأثر بقصص لافونتين، وفي الحالتين، فإن طابع التشاؤم سيطر على الكاتب فحدَّ من خياله، فحال دون أن يحلِّق في فنه القصصي لكن عمله اتسم بالتجديد، بالنسبة لبداية الفن القصصي في هذه الفترة، عندما اتخذ الحيوانات سبيلاً لإبراز عيوب المجتمع المعاصر في السياسة بالرغم من انسياب طابع العظَّة والنُصح والإرشاد.

تصور الكاتب أسداً وذئباً يحكمهما خنزير صغير بقوة وعنف وظلم واستبداد، ويذيق هذا الخنوص الأسد الهوان والمذلة ومن ثم يهجم عليه ويبقر بطنه، ويقتله، وعندما يحتج الذئب على هذا الظلم وهو صديق الأسد لا يكترث له، لأنه خائف ضعيف لا يقدر على الثأر والانتقام، ويقول الخنوص:

"ويلك إني لم آت ما أتيت إلا لأنال منصباً جليلاً وأستعبد قوما ذليلاً أذرهم من شدة سطوتي في سكرتهم يعمهون" (الكيلاني، محمد فائق، 1913، قصة).

فهل كان يقصد بالأسد الدولة العثمانية وبالذئب العرب والخنزير الدولة البريطانية!، ربما بحسب ظننا، وقد أراد الكاتب أن يلقي الضوء على ما يريد، ولكن شرحه للقصة بعيد كل البعد عن محتوياتها فهو يقول:

" ثم لما ثابت نفسي وأمعنت الخيال في حياتنا الاجتماعية التي نحن عليها فهمت أن ما رأيته في الخيال هو تصوير ما يجري في عالم المثال، وتحققت أن ما وقعنا فيه من البلاء المبين هو نتيجة ما سعينا إليه في ماضي السنين، ولكن (سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)" (الكيلاني، محمد فائق، 1913، قصة).

لم يوفق الكاتب في خلق جوّ فني، ولم يصور تصويرا قصصياً ناجحاً لكنه كان قوي الأسلوب سلس العبارة، وصل إلى ما أراد من دون تعقيد لفظي أو اختيار بياني عدا اختياره لأسماء الحيوانات مما هو غير مألوف في اللغة الأدبية المعاصرة. وقد كانت الصور جامدة لم تتحرك ولم تنفعل انفعالاً نفسياً وطبيعياً فلم يعكس لنا صورة صادقة عن عواطف المظلوم، كما خالف طبيعة الأشياء في اختيار هذه الحيوانات، فالأسد ملك الغابة المعروف بالقوة والبطش والوقار، والذئب حيوان فتاك سريع الحركة، والخنزير هو أردأ هذه الحيوانات، لكنه لم يبرز الرمز فنياً ولم يرسم للحيوانات الجو الطبيعي والنفسي لفهمه، لتأثره بكتاب كليلة ودمنة.

ولعلنا نجد الوضوح في (سياحة في النوم) (لم تشر المجلة إلى اسم المؤلف، 1913، قصة) عندما دعا إلى العفاف والأخلاق الكريمة العالية، وكان الصدق أكثر بروزاً في (رؤية عربية) فإن الكاتب واسع الاطلاع يعرف أنه يريد الإصلاح السياسي والقومي والاجتماعي عندما يضرب المثل بتفرق الدولة العثمانية بملوك الطوائف ويحذر من النتيجة المؤسفة التي تحققت في الأندلس، ويدعو إلى ضرورة إحياء التراث العربي الإسلامي لخلق مجتمع إسلامي متطور ناضج يساير ركب الحضارة، ويعطي للعرب حقهم في الدولة العثمانية، ويساويهم بالأتراك ويطالب بجعل اللغة العربية لغة التعليم ويذكر القارئ بتدهور اللغة العربية في العراق.

وفي (المال الحاكم) (لم تشر المجلة إلى اسم المؤلف، 1914، قصة) دعوة اجتماعية واقتصادية للأخذ بالتطور الحضاري في سبيل تقدم الشعب ورفع مستواه من تدبير أمر المعيشة وشق الترع وتحسين الزراعة وتطورها، وتقدم التجارة وإزدهار الصناعة ونشر العلم وزيادة الدخل، والتأكيد على الناحية الإقتصادية وتقدمها وإزدهارها ظاهرة جديدة على الفكر المعاصر، إذ كان يكتفي بذكر الإصلاح عامة دون ذكر ما

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد(٨) – العدد (٤)، خريف ٢٠٢٣
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

يريده من هذا الإصلاح لكن الكاتب هنا دقيق القصد واضح الهدف عندما اعترف بأن رجال الحُكم لا يصلحون لإدارة دفة البلاد وأخذ مقاليد الأمور بيدهم فهو يدعو الله بقوله: " رحماك يا رب أسألك أن تلطف بعبادك وتقيم لهم رجالاً ذوي حزم وعزم ينظرون في الأمور على ما هي، ويتبصرون في العواقب لكي يعود إلينا طائر العمران، فيخفق على جميع هؤلاء السكان فأنت الرحيم وأنت الرحمن" (لم تشر المجلة إلى اسم المؤلف، 1914، قصة).

فما الذي أراده الكاتب بهذا الدعاء؟ في وقت كان الصراع على أشده بين العرب وخصومهم من الطورانيين.. هل رأى انحطاط العراق وتأخره ثم رأى المآسي التي صبها حزب الاتحاد والترقي على غير العرب وعلى العرب، ورأى هؤلاء يفيدون أنفسهم ولا يفيدون بلادهم وأصبحت الخزينة خاوية على عروشها.. الكاتب في هذه المعالجة مصلح سياسي واجتماعي، والغريب أن يستمر أسلوب الرؤيا متأخراً بعد الإحتلال البريطاني فقد وجدنا (ساحة الفكر) بقلم م.ش، كما كتب بسيم الذويب في الثمرات، وأنور شاؤول، وجعفر الخليلي بأسلوب الرؤيا والأحلام (ينظر: أحمد، عبدالإله، 1986، ص: 42-66).

وهكذا يمكن القول: بأن القاص العراقي قد حاول خلال هذه المدة أن يبشر بأهمية التغييرات الاجتماعية، عن طريق الحلم والترميز أساساً، كما كان يواجه الواقع الموضوعي الحسي بكل تفاصيله وتناقضاته، وهو في كل ذلك كان محكوماً بمسار حركة التغييرات التي لم تستطع أن تحقق لها تجسيداً قانونياً متكاملاً على مستوى الواقع. ولهذا لم يستطع أن يمارس تأثيراً عميقاً وواسعاً في مجرى التغيير الاجتماعي؛ بل اقتصر تأثيره على إضاءة وعي عدد محدود من القراء، مكتفياً في الغالب بتحقيق إيصال معرفي فكري غير مباشر وعاجزاً عن تحقيق إيصال جمالي فكري يفترض أن يحققه العمل القصصي الناضج (ينظر: الطلال، مؤيد، 1982، ص: 15-17).

فمن هنا تبدأ مسيرتنا مع القصة العراقية، منذ أن أخذها قصاصو الرؤيا بطريقة يخالفون بها فن الحكاية والمقامة والمقالة السياسية، ومنهجاً جديداً ينظرون من خلاله للواقع، ثم تطورت على يد محمود أحمد السيد والكتاب الآخرين عندما كونت للقارئ والكاتب العراقي نموذجاً خاصاً متميز الملامح والخصائص، وحاول القاص أن يبلور قيمة فنية لها، فكانت نموذجاً يكشف عن أعماق الفرد العراقي ويعبر عن تطلعاته الطبقية، بأسلوب خاص ليس هو المقامة أو المقالة. ثم نحث الخطى مع القصة في مرحلة الخمسينات، عندما دخلتها أساليب فنية جديدة، وأصبح قالب القصة القصيرة مميزاً بموضوعاته وأشكاله، ثم وجدنا اهتماماً بدراسة القصة عموماً، وبتقصي تطورها الفني خاصة، وقد حاول القاص أن يبحث عن موضوعات نفسية وإنسانية جديدة بكل شيء، حتى قيل ان ما يظهر في القصة العراقية سوف يحدث في المجتمع لاحقاً.

إنّ الأجيال المتعاقبة من كتاب القصة، والتي خطت لها طريقها الحالي، اتبعت في ذلك أساليب عدة لكتابتها، ولم تكن هذه الأساليب إلا حصيلة تنوع فكري، وتطورٍ حضاري، وتقدم اجتماعي وثقافي، وتعقّد حياتي، فكان القصاصون يتميزون في النظر إلى هذه الحاصلات، بطريقة تميزهم عن الشعر والنثر المسجوع، فكانت القصة الفنية الناضجة رغم أنها لم تخلُ من البلاغة المتعمدة، جزءاً من الإرث التأريخي الذي تحمله الأحداث في رحمها (النصير، ياسين، 1975، ص: 14-15).

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد(٨) – العدد (٤)، خريف ٢٠٢٣
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

المبحث الثاني: القصة الفنية والدعوة إلى تغيير الاتجاه الاجتماعي:

إنّ النضج اللاحق للقوى والطبقات الاجتماعية، ولاسيما الثورية منها، قد خلق الأساس الموضوعي لنضج وتبلور وعي القاص واستكمال عدته الفنية والتعبيرية. ولعل الثلاثينات تمثل حلقة النمو الثانية في تجربة القصة العراقية؛ فلأول مرة تكتسب التجارب القصصية بعض النضج، وتتضح ملامح البناء القصصي الحديث. إلا أننا، لا يمكن أن نزعم، بأن هذه الفترة قد شهدت ميلاد القصة الفنية الحديثة كما هو الحال في الخمسينات مثلاً، بل وجدنا بعض الإرهاصات التي تبشر بذلك. ويمكن أن نتوقف هنا أمام كتابات محمود أحمد السيد في مرحلة نضجه في القصة القصيرة والرواية، وأمام تجارب ذنون أيوب وجعفر الخليلي وعبدالمجيد لطفي ويوسف متي وأنور شاؤول وعبدالحق فاضل وغيرهم (ينظر: النصير، ياسين، 1975، ص:12-15، وينظر: الطلال، مؤيد، 1982، ص: 9-15).

قدمت قصص هؤلاء الكتاب مواقف صريحة تدافع عن قيم التغيير الاجتماعي، وتدين كافة مظاهر التخلف والجمود. إلا أن أغلب هؤلاء القصاصين اكتفوا بالتقاط بعض النماذج الجزئية واللقطات الثانوية التي لم تكن قادرة في الغالب على الخروج من نطاق الخاص إلى نطاق العام لإستخلاص القوانين الأساسية التي تتحكم في حركة الواقع والتناقضات، وتكشف عن المسار التأريخي الموضوعي لحركة التغيير الاجتماعي، وربما يعود سبب ذلك إلى أنَّ القصة–كما كان يفهمها القاص آنذاك- كانت تتحرك حركة محدودة في الزمان والمكان، وغالباً ما تقتصر على تسجيل حركة شخصية واحدة، أو عدد قليل من الشخصيات التي تدور حول محور واحد أو عقدة رئيسة. اذا لم يكن القاص يحس بالحاجة إلى رصد ظواهر التغيير في شموليتها واتساعها. والقاص العراقي بشكل عام لم يستطع تجاوز هذه الأطر، إلا بعد أنْ باشر الكتابة الروائية التي أتاحت له فرصة أكبر لمواجهة الواقع، بكل أبعاده وتناقضاته وقوانينه ضمن مساحة عريضة في الزمان والمكان (ينظر: الطلال، مؤيد، 1982، ص: 9-15).

ومع ذلك فلا يمكن إنكار محاولة هذه التجارب القصصية عكس مظاهر كثيرة ذات علاقة مباشرة أو غير مباشرة بقضية التغيير الاجتماعي. ولقد وجدنا القاص يتناول الاضطهاد والاستغلال في الريف، وينتصر لقضية المرأة (العاني، شجاع مسلم، ب.ت، ص:13) ضد الأعراف القديمة التي تجردها من الحرية، ويدافع عن نظافة العلاقات الاجتماعية والإنسانية، ويبشر بأهمية التعليم والثقافة والعلم ضد الجهل والكهانة والنزعات الغيبية. إلا أن التجارب القصصية لم تحقق نضجاً على مستوى الرؤية والبناء القصصي. فقد كانت أغلب التجارب تسقط في نوع من النمطية، فالشخصيات غالباً ما تكون احادية الجانب، والقاص غالباً ما يتدخل لينقذ أبطاله، أو ليكشف عن موقف أخلاقي ساذج، كما ظلت اللغة القصصية مفككة وضعيفة، وغالباً ما تعتمد السرد والوصف الخارجي والحوار غير المتماسك، وظلت بنية القصة تحمل الكثير من ملامح الحكاية الساذجة، وإذا كانت الكتابات القصصية المبكرة تمارس تأثيراً محدوداً على حركة التغيير الاجتماعي، ووعي الناس وتكتفي بتحقيق إيصال فكري معرفي، فإن الكتابات القصصية في الثلاثينات والأربعينات بدأت تمارس تأثيراً أوسع وأعمق في وعي الناس ورؤيتهم، محققة إيصالاً فكرياً- معرفياً تارة، وإيصالاً جمالياً- فكرياً تارة أخرى. واستطاعت أن تسهم في خلق وعي إجتماعي بأهمية التغيير

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد(٨) – العدد (٤)، خريف ٢٠٢٣
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

الاجتماعي، وضرورة إدانة كافة مظاهر التخلف والاستغلال والعبودية. إلا أنّ الظرف التأريخي آنذاك، وتخلف المستوى التعليمي والثقافي، لم يكونا يتيحان للقصة العراقية أن تلعب دوراً أعمق في حركة التغيير الاجتماعي (ينظر: فاضل، ثامر، 1979، ص: 289-290).

إلا أن النقلة المهمة في تطور رؤية القاص العراقي، وموقفه من حركة التغيير الاجتماعي كانت تتمثل في تجربة القصة الخمسينية التي اختمرت بعد سلسلة من الأحداث المحلية والعربية والعالمية، منها النهوض الديمقراطي، والوطني، والقومي الذي اجتاح العالم وبضمنه العراق إثر انهيار الفاشية، ونهوض حركة الطبقة العاملة، وانخراط فئات وطبقات إجتماعية أخرى وبشكل خاص من البرجوازية الصغيرة والمتوسطة في النضال التحرري الإجتماعي. وبدأ القاص العراقي خلال هذه المرحلة يعي الأبعاد الفنية التعبيرية للفن القصصي؛ بإفادة كبيرة من تجربة الأدب القصصي العالمي، ومن الثقافة الإنسانية بشكل عام. وقد وظف القاص العراقي آنذاك تجربته الفنية الجديدة لاستيعاب التجربة الاجتماعية، والهموم الجماعية والدفاع عن قيم التغيير الإجتماعي بشيء كبير من الوعي، وبمستوى فني متقدم. لذا جاءت تجربة القاص هذه تحمل الأبعاد المشتركة للهموم الاجتماعية، والهموم الفردية في آن واحد. وهكذا يمكن القول: بأن القاص العراقي استطاع أن يحقق درجة عالية من التوازن بين حاجات التغير الاجتماعي وبين النضج الداخلي للعمل القصصي وأدواته، متجاوزاً بذلك التخلخل الذي كانت تتسم به تجربة جيل الرواد في القصة العراقية. ويمكن التأكيد هنا على أن القصة الخمسينية بتجربتها الخصبة قد شكلت انعطافاً مهماً في أدبنا القصصي، يتساوق وحاجات التغيير الاجتماعي وهو انعطاف لا يقل في أهميته ودلالته عن أهمية نشأة هذا النوع الأدبي في ثقافتنا في الربع الأول من هذا القرن. فلأول مرة اقتربت القصة العراقية من مفهوم الحداثة والمعاصرة في القصة العالمية، وتخلت إلى حد كبير عن النزعة التقريرية والخطابة وعن امتداد تأثيرات فن المقالة فيها. وتشكل أعمال عبدالملك نوري وفؤاد التكرلي ومهدي عيسى الصقر نماذج طيبة لها.

إلا أننا لا يمكن أنْ نزعم بأن هذا النضج كان متحققاً في جميع التجارب القصصية في الخمسينيات. فقد كانت الهموم الاجتماعية تطغى على الهموم الفنية والإبداعية في تجارب بعض القصاصين العراقيين، فتسقطها في نوع من المباشر، والشعارية والسذاجة تجعلها تقترب من الإتجاه الأساس الذي ساد كتابات جيل الرواد. ويمكن أن نستحضر هنا تجارب بعض القصاصين الذين أطلق عليهم الدكتور عبدالإله أحمد، مصطلح قصاصو تيار الواقعية السياسية الساذجة أمثال صالح سلمان ومحمد علوان الجميلي وغيرهما (أحمد، عبدالإله، 1977، ص: 287-301).

كما نجد في الجانب الآخر طغيان الهموم الفردية والإبداعية على هموم التغييرات الاجتماعية في تجارب بعض القصاصين؛ فتسمها بالرومانسية تارة وبالرمزية أو الوجودية تارة أخرى، كما هو الحال في بعض تجارب محمد روزنامجي ونزار سليم ونزار عباس. ومن الضروري الإشارة هنا إلى أنّ هذا الإتجاه الذي كان ينأى بهذه التجارب عن السمات الواقعية والاجتماعية التي هيمنت على مسار التجارب القصصية العراقية ظل محدوداً ولم يكتسب ذلك الاتساع الذي شهده فيما بعد في الستينات. ومع ذلك، فيمكن القول هنا بأن فضيلة هذه التجارب رغم ضآلتها ومحدوديتها أنّها نبهت إلى ضرورة تطوير الأدوات التعبيرية

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد(٨) – العدد (٤)، خريف ٢٠٢٣
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

للقاص، والاهتمام بعالم الإنسان الداخلي وولوج آفاق جديدة في عالم الكتابة القصصية وتجنب التبسيط والنمطية في عكس التغيرات الاجتماعية والأوجه المختلفة.

لقد استطاعت الكتابات القصصية الخمسينية تأصيل التقاليد القصصية وتجذيرها في الأدب العراقي، على نحو أصبحت تقترب في مستواها الفني من مستوى القصة العربية المعاصرة، كما تميزت بحسها الاجتماعي وتعاطفها مع هموم ومشكلات الطبقات والفئات الشعبية (الطاهر، علي جواد، 1975، ص: 148-152)، لدرجة أنها اتسمت بطابع سياسي جعل منها أداة للتحريض والنضال ضد النظام شبه الإقطاعي، شبه المستعمر الذي كان يسود العراق إبان الحكم الملكي، إذ كانت تلك الكتابات تؤكد بشكل غير مباشر الحاجة إلى تحقيق تغيير اجتماعي جذري ينقل العراق من حالة التخلف والظلام إلى النور والتقدم .

يقول الأستاذ خالص عزمي في مقالة له نشرها في مجلة الكتاب بعنوان القصة العراقية في الخمسينات: "غلب الطابع السياسي والاجتماعي على قصص الخمسينات فالحياة العامة التي كانت آنذاك شجعت إلى حد كبير على معالجة تلك الألوان من المضامين وكان الانتصار للإنسان في حياة حرة كريمة، ورفع المستوى المعاشي للفرد، ومقاومة الطغيان والفساد، ومحاربة الجهل والفقر والمرض، والعادات القديمة وقشور التقاليد، مدراراً لتلك القصص وجذوراً لمصادرها. كما أنّ البحث عن التناقض سواء في طبقات المجتمع العراقي (الطبقات المتخمة والمترفة) و(الطبقات المعدمة) منه، أو في نفسية الفرد العراقي ذاته؛ كانت من أبرز سمات القصة العراقية آنذاك" (عزمي، خالص، 1971، ص111-112).

ولم تخل تلك القصص من الخيال الموغل، والنهايات غير المتوقعة، والعادات المنقرضة والرمزية الوجلة من مواجهة الحقائق والشعارات، والروح الخطابية والإصلاح الاجتماعي عن طريق الوعظ والإرشاد، لقد كانت للاتجاهات السياسية دورها الواضح في قصص بعض الكتاب، كما كان للكتب التي وردت العراق آنذاك-المترجمة منها أو الموضوعة- والتي كان يحصل عليها الكُتّاب بمختلف الأساليب والطرق على الرغم من منع تداولها.. أثره البين على المواضيع التي تطرقوا إليها في قصصهم (عزمي، خالص، 1971، ص112).

أما الدكتور عمر الطالب فيقول في مقال له بعنوان (في تاريخ القصة العراقية القصيرة) منشور على الانترنيت: "ولم تخضع القصص عند بعضهم لتخطيط معين بل تجري القصة في حرية واسترسال، يسوق فيها الكاتب فكرة معينة أو يعكس حالة أراد نقدها وإظهار عيوبها ويتناول مضموناً حراً كالشكل الحر الذي يحوي هذا المضمون فتضيع القصة بين الشكل الحر والمضمون الحر ولا أستطيع القول إنّ ذلك الشكل الحر من أشكال القصة القصيرة الفنية بل إنه في منزلة بين المقالة وبين القصة، ففيه من خصائص المقالة حرية الاسترسال وعدم الاحتفال بالإطار وفيه من القصة ظواهر السرد ورسم الشخصيات وسير الأحداث" (الطالب، عمر، مقال منشور على الانترنيت)، بسبب نهج القصة العراقية نهجاً اجتماعيا جاداً، فمن هنا جاء ارتباط المحاولات البدائية للقصة العراقية، بالمقال الاجتماعي الإصلاحي، كما في بعض قصص محمود السيد وذنون أيوب ويوسف رجيب وضياء سعيد وجعفر الخليلي. وطابع هذه الأقاصيص أن الكاتب يصور الواقع تصويراً حرفياً ويقدم قصة قوامها تسجيل عادات وتقاليد البيئة والشخوص القصصية فيها

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد(٨) – العدد (٤)، خريف ٢٠٢٣
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

غير ناضجة، ولم تستكمل لمحاتها الإنسانية المفردة ولم تخلص من السطحية. وأنّها تخفي ذات الكاتب وراءها وتتسم بالموضوعية الكاملة وتمتلئ أحياناً بفضلات الواقع؛ لأنهم يفهمون القصة على أنها نقل حرفي عن الواقع، ولهذا جانبوا الفن، ينظر: (الطالب، عمر، مقال منشور على الانترنيت).

ولكننا نجد القصة الفنية عند محمود السيد في مجموعته (في ساع من الزمن) وعند ذنون أيوب في مجموعاته (رسل الثقافة، الضحايا، صديقي، وحي الفن، برج بابل، الكادحون، الكارثة الشاملة، حميات، العقل في محنته) وعند شالوم درويش في مجموعته (أحرار وعبيد) وعند عبد الحق فاضل في مجموعته (مزاح وما أشبه) وعند صفاء خلوصي في مجموعته (نفوس مريضة) وعند عبد المجيد لطفي في مجموعته (قلب الأم). فقد عرفوا بأن الفن ليس تقليداً للواقع ولا نسخة أمينة عن الأشياء وإنما هو رؤية روحية تعيد خلق الواقع من جديد بغناء أكثر أو خلق واقع أعمق من الواقع المباشر وأعظم ثراء ويسلك الفن للوصول إلى هذا الواقع طريق الاختيار وطريق الصنعة. ومعظم قصصهم ذات اتجاه واقعي تشوبه أحياناً رومانسية شفافة وتستقي الواقعية عندهم مادتها من حياة الشعب وتتناول مشكلات المجتمع العراقي ومظاهر الفقر والبؤس التي ترزح تحتها الطبقات العاملة.

أما الدكتور صالح الهويدي فيذهب إلى القول: "بأن القصة في العراق قد بدأت بداية واقعية، إذ سيطرت عليها تقاليد الواقعية النقدية، بحكم الوعي الاجتماعي والرؤية التقدمية التي عبر عنها جيل الرواد، ومن تلاهم في العقود اللاحقة حتى مرحلة الستينات، فلم يشذ عن واقعية محمود أحمد السيد، يوسف متي أو أدمون صبري أو ذنون أيوب، أو أنور شاؤول أو عبد المجيد لطفي أو جعفر الخليلي، باستثناء معالجات القاص والروائي عبد الحق فاضل، صاحب رواية (مجنونان) التي كانت نغمة مختلفة في سياق المسيرة القصصية آنذاك. لكن ذلك لا يعني أن قصص مرحلة الثلاثينات والأربعينات والخمسينات كانت مطابقة في نماذجها تماماً لقصة العشرينات الواقعية لدى الرواد، فمع توسع رقعة الهموم الاجتماعية في المجتمع العراقي، هيمن هذا الجو الحزين على نتاجات الفن القصصي العراقي طوال هذه الفترة، مع ملاحظة خفوت النزعة الوعظية عند كتاب، وخفة حدّة المعطيات الأخلاقية وانحسار بعض مظاهر التقريرية والتداخل الأجناسي بين القصة والمقالة، ذلك التداخل الذي حدا بفؤاد التكرلي إلى إطلاق مصطلح (المقاصّة) على هذا النمط السردي"، ينظر: (الطاهر، علي جواد،1987، ص: 17-21) .

وإذا كانت القصة العراقية قد صدرت عن الواقع الاجتماعي منذ نشأتها إلى حد الستينات، فإن الأحداث الدراماتيكية التي شهدها الواقع العراقي، في السنوات الأولى للستينات، وحالة التخبط والاحتراب بين الفصائل السياسية، التي انعكست على واقع المجتمع وأفراده، ومن ثم وجدان القاص العراقي، كانت من الوطأة والتغير والتأثير ما جعل القاص العراقي يعيد إنتاج مفهومه الفني للواقع، ويقدم لنا نماذج قصصية ذات بنى وملامح وتقنيات مختلفة تماماً عما ألفته المسيرة القصصية من قبل، وهو ما هيأ لظهور انعطافة شكلت مفصلاً واضحاً ونغمة جعلت الخطاب النقدي يرى فيها مرحلة جديدة وجيلاً متمايزاً من سواه، مما شكل مسوّغاً موضوعياً لظهور تصنيفات جديدة للمسيرة القصصية، ومفاهيم ومصطلحات تظهر أول مرة، منها: مفهوم الجيل، إذ عُرفت هذه المرحلة في النقد العراقي فيما بعد بـ (جيل الستينات)، تلك المرحلة التي فتحت الباب لتصنيفات مرحلية تالية تعتمد التسلسل العقدي، تفشت في خطاب النقد القصصي العراقي

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد(٨) – العدد (٤)، خريف ٢٠٢٣
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

والعربي عامة، ممهدة لظهور ما عرف بـ (جيل السبعينات) و(جيل الثمانينات) و(جيل التسعينات) ... إلخ، في الشعر والقصة والرواية في العراق، ينظر: (الطاهر، علي جواد،1987، ص: 17-21).

ولتوضيح الصورة التي قدمناها للقصة العراقية في هذه الحقبة الزمنية من جيل الرواد، أي المدة ما بين الثلاثينات والخمسينات من القرن المنصرم، أخترنا قصتين، إحداهما لمحمود أحمد السيّد بعنوان (نكتة العمامة) التي كتبت في منتصف الثلاثينات، وأما الاخرى لفؤاد التكرلي بعنوان (الوجه الآخر)، فقد كتبت في منتصف الخمسينات، حيث سنعرض لمضمون القصتين، وأفكارهما، ومحاولاتهما في تغيير الواقع الاجتماعي من جهة، وتبيان مدى ما لحق بالقصة من تغيير وتطور في فكر القاص ومضامين قصصه من جهة أخرى، والسبب من اقتصارنا على نموذجين من قصص هذه الفترة بالتحليل والدراسة، يعود إلى تقيد الباحث لعدد صفحات البحث.

نأتي إلى قصة محمود أحمد السيّد (نكتة العمامة) التي كتبت في أواسط الثلاثينات (السيّد، محمود أحمد، مجموعة قصصية، 1935، ص: 52-63)، واختيارنا لهذه القصة لا يرجع إلى شيء إلا أنها أقرب القصص لتوضيح هذه المرحلة.

نكتة العمامة:

أستعير من خاتمة القصة هذا القول: " .... إذا كنا نعتقد أن حياة الشعب المادية هي التي تملي عليه منهاج أخلاقه وتقرر له عاداته وتقاليده، بل أعتقد ذلك، فإن الحياة المادية لشعبنا الفقير المسكين لم تتغير بعد تغيراً جوهرياً بالاتصال بالغرب، لكي تتغير تلك العادات والتقاليد لديه، بل تغيرت الحياة المادية في القصور ولدى بعض المتفرنجين من الموظفين" (السيّد، محمود أحمد، مجموعة قصصية، 1935، ص: 63).

والقصة عموماً تدور حول العادات والتقاليد التي كانت تحدث في مجتمعنا، ثم كيفية علاجها، ويروي القاص- الذي هو أحد شخوص القصة- أحداثاً تأريخية قريبة وبعيدة مؤكداً قول السيّدة الأجنبية، حول قتل المرأة غسلاً للعار ثم يوضح القاص، أنّ مثل هذه العادات آيلة للزوال، بحكم طبيعة التغييرات المادية للمجتمع العربي.

وبإلقاء نظرة على البناء الفني للقصة، نجد القاص يبدأ بتحديد المكان الذي دارت فيه أحاديثهم، وهو " الشرفة الغربية الكبرى في فندق دجلة الكبير، المشرف على الصالحية وجسرها" (السيّد، محمود أحمد، مجموعة قصصية، 1935، ص: 52). ثم ينتقل إلى وصف السيّدة المجريّة التي تجالسهم، ولا يدخر وسعاً في تعريف القارئ بها "وافدة من بلاد المجر لدراسة تقاليد العرب" (السيّد، محمود أحمد، مجموعة قصصية، 1935، ص: 52)، ثم يروي الحادثة التي قرأتها هذه السيّدة في إحدى الجرائد، حول مقتل إمرأة بيد طفلين غسلاً للعار، ملمحا من خلال روايته، لما يتمتع به الأوربيون من حرية. ثم يروي أحاديث الجلساء، الصحفي والطبيب، والأديب، ثم قصته حول البطل الغيور (عبدالحميد)، الذي علت عمامته نكتة سوداء فلم يفطن إليها، وكيف أنه ثار عندما أشاروا إلى هذه النكتة وحسبها لوثة في عرضه، وأخيرا يوضح الكاتب أن كل ذلك سببه الحياة المادية للشعب، وأن تأخرها يعني تأخر المجتمع.

وبنظرة بسيطة في مضمون القصة، نجده لا يختلف كثيراً عن مضمون قصص الرؤيا، ولكن الذي اختلف هو طريقة طرح هذا المضمون، وهذا يدل على أنّ الحياة الاجتماعية خلال تلك المدة لم تتغير كثيراً، كما

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد(٨) – العدد (٤)، خريف ٢٠٢٣
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

أنّ دعوات الإصلاح والوعظ، كانت هي الدعوات السائدة، والذي حدث أنّ القصة لدى قصاصي ما بين الحربين تطورت فنياً، في الأغلب. فتجد ظهور تجميع الصور، واعتماد السرد الحكائي، مع الحفاظ على وحدة الموضوع، وتقسيم القصة إلى: بداية، ووسط، ونهاية، مع أن (نكتة العمامة) قد لا تنطبق عليها كل هذه الأوصاف.

وكان لجوء قصة ما بين الحربين إلى استخدام السرد، والتحليل الواقعي وعرض الصور الاجتماعية، في رأينا، يعود إلى سببين هما:

أولاً: نتيجة لبعض التحولات الاجتماعية والثقافية، وما يقرأه القصاصون من كتب أجنبية " هجروا أسلوب السجع والبديع، إذ أحسوا أنه لا يتسع كثيراً لنقل المعاني الأصلية في النص الغربي، وأنه لا يتيح لهم أن يعبروا عن هذه المعاني تعبيراً محكماً منضبطاً، ولم يكتفوا بذلك؛ بل أخذوا يمرنون الأسلوب التقليدي على أداء المعاني الغربية والدقيقة" (النسّاج، سيد حامد، ب.ت، ص: 58).

فالعناية صارت تنصب على المضمون، وكان هذا إيذاناً بزوال أسلوب البديع والسجع والزخارف اللفظية. وإذا كان نمط الحياة المعيشية يحدد نوعية الأفكار، فهو يحدد في الوقت نفسه نوعية الأسلوب أيضاً. ومجتمعنا الزراعي، والبرجوازي الصغير المتمركز في الريف إنتاجاً، وفي المدينة استهلاكاً، كانا ملتحمين إلى الحد الذي يجعل تناول أية قضية تخص أحدهما غير مستساغة، كما نجد الاهتمام بالأمور العاطفية، والهموم الساذجة، وزجها في خضم من المغامرات، وتقديمها بلغة بلاغية تحمل طابع كتب السيرة والتأريخ، إلى جانب رصد انعكاساتها في الواقع، هو النمط السائد في قصة ما بين الحربين إجمالا، وهو نمط يلائم التفاعلات المادية التي ينتجها المجتمع الزراعي لصالحه.

ثانياً: لقد وجد القاص أنّ القصة تتسع لتجميع عدة أحداث، يربطها خيط واحد، معمقاً بها مجرى الحادثة الأصلية. وليس من ضرر أن تكون أبعاد هذه الأحداث من الماضي القريب أو من الخيال، ينظر: (العبطة، محمود، 1971، ص: 79-82).

بظهور مثل هذا الهوى بأوضاع المجتمع، وضع القاص نفسه، ومن ثَمَّ أبطاله، موضع القائد والعارف بأحوال الناس وما يحتاجونه. ففي القصة التي اخترناها –وإن لم تكن أفضل قصة تمثل هذا النوع- نجد تعدد النماذج المتشابهة من الشخصيات –الطبيب، الصحفي، الأديب، القاص- وهي نماذج يرى السيّد في تجسيدها أمانة لحقبة تأريخية، وإقراراً بأنها صاحبة المصلحة الفعلية في التغيير. مع أن مثل هذه النماذج تعيش التناقض، فهي تتعاطف مع البسطاء من الناس، وتتمنى بالوقت نفسه الإرتقاء إلى طبقة البرجوازيين، وكان القاص في تجسيد هذه التطلعات يخضع الأفكار المجردة في مخيلته عن الإصلاح، إلى قرائن واقعية ملموسة، مبتعداً بها -جهد ما يستطيع كاتب كالسيّد يؤمن بالتغييرات المادية- عن الإلتحام الفعلي بقضايا الناس اليومية.

وفي العَقد اللاحق، عقد الخمسينات، لم يعد الأمر كما كان في السابق، فلم تعد تلك الوجوه الكالحة، الجالسة في المقهى، أو شرفة في فندق لتحكي قصة الماضي القريب، ولتلمح بأسلوب ساخر تهكمي إلى معايب المجتمع، فقد جرت الحياة في العراق وفق منظور آخر، حدثت تغييرات سياسية واجتماعية وفكرية، نتيجة حربين عالميتين، أو حركات عسكرية كانت تؤدي بالعراق إلى إنتقالة في فكره لو نجحت، كما أصبح

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد(٨) – العدد (٤)، خريف ٢٠٢٣
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

لوجود الانكليز أثر واضح على المثقفين، إضافة إلى فتح معامل عديدة وزيادة استغلال النفط مما أدى إلى نشوء طبقة بروليتارية تسعى إلى التغيير والثورة، كما وضع الأعداء، وفرزت فئات الشعب بين القوى الوطنية وغير الوطنية، وسارت في شوارع المدن العراقية مظاهرات وحدثت مصادمات دموية..

وهذا يعني أنّ القاص أصبح شخصا آخر لا يلجأ إلى الكتب التأريخية والأساطير المعمية، ولا إلى الحكايات الشعبية، ليروي أو يؤكد حادثة ما، لقد وضعه الظرف التأريخي أمام مسؤولياته وجعله أكثر حدة مما كان، كما تجددت لديه حاجات عديدة أخرى، وهو يجد أن القصة توفي له بعض مطاليبه. وكان حصيلة ذلك، أن امتهن القصاصون الصحافة، وأصبحت قضايا الناس هي شغلهم الشاغل.. وأصبحت الصحافة عندهم غذاءً روحياً ومادياً.. ينظر: (د.الطاهر، علي جواد، 1987، ص: 40-44).

وهنا لابد من تحديد موقع القاص خلال هذه المدة، فقد التحم بعضهم بالشعب، تظاهر معه، اشترك في إضرابه، سُجِن، وكان بذلك أميناً لشعبه، بينما الآخر التجأ إلى الأدب، إلى القصة يعبر به عن أزمة ضميرية خفية، يعرض الواقع الذي ثار من أجله الآخرون كما يعرض وضعية الإنسان في مثل هذا الواقع. وكان أميناً لشعبه أيضاً.

وهنا كان للقصة خطان، خط يسير في رصد حركة الشعب، وما يحتاجه، وخط ثانٍ يرصد الأوضاع التي ثار عليها الشعب، وكما ذكرنا فيما سبق اخترنا قصة (الوجه الآخر) لفؤاد التكرلي بوصفها نموذجاً يوضح أبعاد كلا الخطين (التكرلي، فؤاد، رواية، 1989)، وقد كتبت هذه القصة في منتصف الخمسينات من القرن المنصرم من تاريخ العراق، هذه القصة التي ما زالت مهمة، ومؤثرة، من جانب الفكرة التي قدمها الكاتب، وكذلك الصلة بين الفكر والفن وتغير المجتمع من خلال الظرف التأريخي الذي وضع فيه (محمد جعفر) نفسه من جهة، وتأدية كل ذلك إلى اكتشاف الأسلوب الجديد لمثل هذه الشخصيات من جهة أخرى.

الوجه الآخر:

في صباح خريفي منعش، ألقى التكرلي بطلَ القصة، في ساحات بغداد وشوارعها، في محاولة منه لرصد مشاعره المتوثبة كمدخل مأمون لمعرفة ما يفكر فيه في مثل هذا الصباح. "ففي لمحة زمنية قصيرة، استوعب محمد جعفر بنظرته الأفقية حركة المكان المحيط به، فألفها، حركة عادية ككل نهار، مكرورة وسأمة كما هي عادة محيطنا، فها هو شارع الرشيد يعج بالطلبة وراكبي الباصات والمتسولين، وها هو مقهى حسن عجمي كعادتها، تعج هي الأخرى بشاربي الشاي والفارغين، وها هي ساحة الميدان نظيفة ومليئة بالسماء الصافية كعادتها في كل صباح، حتى الشابة الملفعة بعباءتها السوداء تمر هي الأخرى بنفس الوقت. ومع ذلك فكر بأنه سوف يمر ببعض هذه الأماكن، وهو أيضا يجاري ما اعتاد عليه في كل صباح أيضاً"، ينظر: (التكرلي، فؤاد، رواية، 1989، ص5-7)، كل شيء في هذه الأماكن كما هو، وليس فيها ما يثيره أو يستثيره.

وعلى حين فجأة طفحت قضاياه الداخلية، معتلية صفحة ذاكرته النشيطة، معلنة بدء جولة فكرية يملأ بها هذا الفراغ المكاني، جولة لا مجال للتردد في إخفائها، أو التستر عليها، أو التقليل من أهميتها. حتى إنّ أحد المرضى المتسولين يطلب مساعدته فلا يعيره انتباهاً. وكان هواء الخريف المنعش، قد أيقظ فيه شعوراً

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد(٨) – العدد (٤)، خريف ٢٠٢٣
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

بالغروب المبكر، فكان لجوؤه إلى ذاته بمثابة توازن فكري ومكاني للفراغ المحيط به. وليعلن بعد ذلك "إنّ في الحياة أموراً يقرها، وأخرى لا يقرها، وما على المرء إلا أن يمتلك القدرة لمعايشة هذا التناقض" (التكرلي، فؤاد، رواية، 1989، ص8-11).

بمثل هذا الجو المتوتر وضع القاص الركائز الأولى للأبعاد النفسية عند محمد جعفر، كما وضع برؤية تامة المدخل السري لأسلوبه الفني أيضاً، إلا أن ما يلاحظ على بداية هذا النوع، أنها ليست البداية التي لا تسبقها بداية أخرى، فقد تثقل بدايات من هذا النوع بطل القصة بما تملكه من سعة الأفق الشعوري، وتعدد في الأمكنة، وبفيض من التصورات، وقد يُلجِئُ ذلك البطل غير المنضبط إلى الاعتماد على النظرة الانطباعية السريعة.

ولكن فؤاد التكرلي، وبما يملكه من ثقافة واسعة لم ينسَقْ وراء مثل هذه الظاهرة كثيراً، فقد قطعها في الوقت المناسب، وخلص منها إلى التركيز على حركة البطل في محيطه، وإلى اختصار لغته بما يلائم هذه الحركة، وكأنه يمهد بذلك للتوازن بين ضيق عالمه الداخلي، وسعة العالم الخارجي في آن واحد. فكانت الصفحات الأولى من القصة توضح مثل هذا التقابل والتوازن، والذي اعتمد كأسلوب إلى نهاية القصة، معمقاً به الطابع البيئي الذي يلف قضايا اجتماعية من جهة، كما يغمر البطل بسكونية هذه القضايا من جهة أخرى.

فمن هو محمد جعفر؟ وما هي طموحاته؟

في البدء يحدد لنا القاص، معالم هوية البطل، الاجتماعية والنفسية .

"موظف صغير، مثقف، يزاول الكتابة في الصحافة أحياناً، متزوج، ينتظر مولوده البكر. فقير، سوف يرهن ذهب زوجته لسد نفقات المولود، ثم يموت الطفل أخيراً، مما يضطره إلى طلاق زوجته التي أصيبت بالعمى جراء الولادة القيصرية، يعيش في محيط كادح، وينزل مع ناس آخرين في البيت نفسه، في زقاق مظلم، ودائرته مثقلة بالمراجعين والمراجعات" ينظر: (التكرلي، فؤاد، رواية، 1989).

وواضح أنّ حياة كهذه، لا تمتلك خصوصيتها، كما أنّها ليست غائرة في المجتمع، بل هي حياة المئات بل الآلاف العراقيين، وتكتسب أهميتها من كونها واضحة وصريحة، ومفروضة عليه، ولذلك نجد البطل يفلسفها لكونه يرفض أن يكون طائعاً لها يعمقها فكرياً لكي لا يفسد كل شيء فيها عندما يتحقق، محاولا بعد ذلك، استخلاص موقف فكري وإنساني منها؛ بوصفها تجربة جديدة تُنمّي في أمثاله القدرة على معايشة ما يقره وما لا يقره.

من خلال هذه الظروف المادية، بدت الأمور المألوفة في هذه الحياة (غير مألوفة)، والعادية غير عادية، خاصة وأنه وجد في الفكر (الوجودي) ما يضيفه إليها سواء ما يفكر به هو أو ما يفكر به أبطال (سارتر) أو (دستويفسكي) (يشعر القارئ لهذه الرواية أن فؤاد التكرلي قد أستفاد من رواية دستويفسكي الجريمة والعقاب، فلو قمنا بمقارنة بسيطة بين البطلين نحصل على أن كليهما مثقفان يلجآنِ إلى الرهن، وكلاهما مثقلان بظروف عائلية وكلاهما كاتب قديم) ينظر: (دستويفسكي، فيودور، رواية الجريمة والعقاب، ترجمة سامي الدروبي، 2010)، فكان أنْ برزت لديه قدرة في التحطيم والرفض والتمرد، أكثر من البقاء في تلك الظروف.

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد(٨) – العدد (٤)، خريف ٢٠٢٣
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

هذه هي الصورة العامة التي وصل إليها محمد جعفر، صورة تجمع القهر الفردي إلى جانب القهر الاجتماعي، فهو (راسكولينكوف) (روديون رومانوفتش راسكولينكوف بطل رواية الجريمة والعقاب لدستويفسكي) يهوي على الرأس الفارغ بالعصا محاولاً توضيح معالم وجهه الآخر القابع خلف المحيط العائلي وخلف المحيطات النفسية العديدة كالحاجة المادية، والعيش مع زوجة غير كفوءة، أو جيران لا يملكون معنى لوجودهم. ويجعل من قضية بسيطة مدخلاً للخلاص من العالم، وأسلوباً لتمكين دور الفرد في المجتمع. يُخطئ من يظن ان التكرلي حاول في الوجه الآخر، أن يطرح وضعاً اجتماعياً سهل التغيير. فمن هنا بدأت ملامح وجه محمد جعفر تتميز بوضوح، فكان من بين هؤلاء الشخوص من مارس تعذيباً نفسياً له، ومعمقاً بدوره موقفه الفردي الرافض، ومن بينهم من كان يشاركه تصوره الخاص لمجريات الواقع المؤلم، فكانوا مُسهمين في دفعه للتناقض مع نفسه، ومن كلا الصنفين، كانت تتوضح صورة مجتمع المدينة المحكوم بنظام برجوازي استغلالي، يفرض على الناس ظروفاً قاسية، فتوضحت صورة السيد المرابي بامتلاكه للشابة سليمة، في الوقت الذي كان محمد جعفر يحاول أن يجعل من سليمة معادلاً موضوعياً لحبه الفاشل مع زوجته. كما توضحت الأبعاد النفسية لزوجته التي عاشت طائعة مستسلمة لدرجة أنّها انساقت وراءه للطلاق، من دون أن تنبس بكلمة واحدة. وهي صورة القهر الاجتماعي المفروض على المرأة في المجتمع العراقي بصورة خاصة والمجتمع العربي بصورة عامة، وقد أصبح موت طفلة قضية يدين بها ظروفاً اجتماعية متشابكة أدت بمجموعها إلى هذه النتيجة، وكذلك نجد فهماً وتفسيراً معقولاً لثورة وجهه الآخر، المقنّع والمختفي، ضد وجهه الاجتماعي السافر عندما أمسك بسليمة خلسة في باحة الدار لتقبيلها، ينظر: (التكرلي، فؤاد، رواية، 1989).

ولكي نتعرف على المعنى الحقيقي الذي دفع القاص إلى أن يجعل من بطله يحمل الصورة المتناقضة لوجهي المجتمع، ومن ثَمَّ لوجهيه، علينا أن نزيح القشرة الظاهرة من أفكاره، والتي حاول إسنادها بروافد (وجودية) وأخرى (عبثية). في محاولة منه لامتلاك الموقف الظرفي من جميع جوانبه ولتبرز لنا بعد ذلك الصورة النقية التي أطلق عليها (الوجه الآخر).

فقد أصبحت الظروف التي أدت إلى الوضع الذي يعيشه محمد جعفر مفسرة بأقوال لم تنشأ منها. وبالفعل فقد بقيت بعض الآراء مجرد تصورات مثقف، بينما الأخرى –خاصة فيما يتعلق بأن يكون وألا يكون- وبالموت والحياة لاءمت أوضاعه النفسية المتمردة، هذه الأوضاع التي جمعت في صورتها التأمل إلى جانب التداعي وهي أوضاع كانت ستجد لها صورة أكثر عمقاً لو توسع في البحث عن عالم البطل الفكرية، خاصة ما يستنبط منها وهو يعايش ويصارع ظروفاً شرسة.

لقد نشأ عدم توازن بين ما يفكر به محمد جعفر وما يعيشه وتوقه إلى التغيير وبلورة موقف فكري واضح، وبين انجراره وراء قضايا جانبية لا تعينه على تحديد مثل تلك المواقف. وكان نتيجة ذلك أن أصبح وجهه الآخر أكثر عتمة، كما أصبحت الأفكار التي تسنده أكثر عمومية.

إن القضايا المحلية، وفي مجتمع نصف حضاري –مجتمع مدينة بغداد إبان الخمسينات- لا تستطيع بلورة موقف حضاري متقدم كالذي طالب به محمد جعفر في التمرد، خاصة وأن عدته الأساس في ذلك (الأفكار)

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد(٨) – العدد (٤)، خريف ٢٠٢٣
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

ويا حبذا لو كانت أفكاراً غير الأفكار الوجودية التي –حتى ولو ثبتت دقتها في التعبير- تعبر عن أزمة غير التي ينشأها مجتمعنا.

لقد أعتمد قاص ما بين الحربين عموماً، على المرئي من الأحداث وعلى الماضي القريب –الواقعي والتخيلي- من القرائن، وكان بذلك، يجمع مرحلتين في آن واحد، كما يجمع بين أسلوبين معاصرين، هما: السرد والتقرير الصحفي. وهما أسلوبان لا يجعلان الواقع أكثر وهمية أو أكثر فظاعة مما هو عليه، لكنهما لا يحاولان، أيضا أن يهيئا للدخول فيه بعمق، رغم أنهما يرسمان له أطراً واضحة تعين الباحث الاجتماعي، والناقد الأخلاقي على رسم صورة واضحة لمجتمع تلك المدة.

وإذا كان محمود أحمد السيّد وفؤاد التكرلي، وبقية كتاب ما بين الحربين أسهموا في بناء صرح قصصي يستند على أعمدة محلية، وأخرى أجنبية. فقد كان لهم الفضل الأول في تطويع اللهجة المحلية وإدخالها في بناء القصة، مستهدفين بذلك واقعية النموذج، ومحولين انطباعاتهم الشخصية من مجرد التخمين إلى موقف فني، يمتاز بالمرونة والحيلة. ولم يقف الأسلوب السردي على نوعية اللغة أو الحدث، بل تعدى ذلك كله إلى أن أصبح موقفاً فكرياً من الأحداث الجارية في المجتمع العراقي.

لذلك نجحت القصة كجنس أدبي تري في توجيه نظر النقاد والدارسين على اختلاف مذاهبهم وتباين مناهجهم إلى ما تزخر به من إمكانات العزف على أوتار الحياة اليومية، والكشف بما يموج به العالم الخارجي من صراعات ومفارقات، فأصبحت دعامة الأدب الحديث، وتشكل نوعاً من أنواع الأدب وفنونه، وشاعت كتاباتها شيوعاً واسعاً حتى عدت من أهم أبواب الأدب لما تضمنتها من قيم اجتماعية وسياسية وفكرية وثقافية.

الخاتمة:

إنّ أدب الرواد لا يستمد أهميته التأريخية من ريادته الفنية حسب، بل ومن التصاقه بالواقع الإجتماعي والسياسي آنذاك، من صدقه وحرارته.. فقد حاولت القصة العراقية على يد جيل الرواد –وفي حقبة الأربعينات والخمسينات على وجه التحديد- أن ترصد الحياة الاجتماعية، وتعبر عن طموحات وكبوات المجتمع العراقي والمناضل السياسي والفرد الجائع المسحوق طبقياً، وذلك من خلال طرحها لنماذج مختلفة الملامح ولكنها تشترك في مسائل جوهرية عامة، وتعبر بشكل وبآخر عن آراء المؤلف، وتجسد مواقفه من التغييرات الحاصلة في المجتمع العراقي من جهة، ومن جهة أخرى يخيل إليك أنّ القاص العراقي يصور نفسه ومشاعره أكثر مما يعبر عن حياة أبطاله ونماذجه؛ فيجعل من القصة مشجبا يعلق عليه همومه، ووسيلة يبوح من خلالها عن عواطفه .

ولذا فإن هذه الميزة الإيجابية غالباً ما تتحول إلى صيغة سلبية لعدم قدرة القاص على خلق العلاقة التركيبية الديالكتيكية بين الموضوعي والذاتي، بين النمط النموذجي العام والحالة الاستثنائية الخاصة فيتناقض عندئذ منظور القصة ورؤاها الفكرية مع صنعتها، وتضيق المسافة الفاصلة أحياناً بين المقالة الاجتماعية والسياسية وبين القصة بوصفها فناً رفيعاً.

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد(٨) – العدد (٤)، خريف ٢٠٢٣
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

ولهذا نجد الملامح الإجتماعية والقضايا الإنسانية المطروحة في القصة العراقية عند جيل الرواد غالبا ما تكون واحدة بالنسبة للقاص الواحد، وللقصاصين العراقيين عموما، وإن اختلفت الإيقاعات والنغمات التفصيلية من قاص إلى آخر ومن قصة إلى أخرى.

ولعل أهم ما قدمه جيل الرواد، تحديد ملامح واضحة للقصة السياسية بمعناها الخالص، بل رافق هذا النوع الأدبي نشأة القصة العراقية، منذ البداية واحتل فيها مساحة واسعة حتى يومنا هذا. إذ كانت القصة والرواية العراقية مشبعة بالوعي السياسي عند جيل الرواد ابتداءً بأعمال محمود أحمد السيّد وانتهاءً بغائب طعمة فرمان وفؤاد التكرلي، ولم تخل القصة الوجدانية العاطفية نفسها من الأبعاد السياسية، والمطارحات الفكرية، والمواقف الإنسانية التقدمية كما هو الحال في رواية (المجنونان) لعبدالحق فاضل مثلاً.

ولقد كان ذنون أيوب هو الأب الشرعي للقصة السياسية والعراقية حيث امتلأت قصصه القصيرة وروايته الطويلة بالنقد الاجتماعي والمواقف السياسية الجريئة والرؤية الإنسانية التقدمية الضاجة بحرارة وصدق معاناة من مظالم العهود البائدة، كما هو الحال في روايتي (الدكتور إبراهيم) (اليد والأرض والماء) اللتين جسدتا ملحمة نضال الشعب العراقي والأمة العربية ضد الإستعمار والصهيونية.

وهذا ما قام بأعبائه جيل الرواد برمته من أمثال السيّد وجعفر الخليلي وشاكر خصباك وعبدالملك نوري والتكرلي وآخرين، مؤسسين بذلك المدرسة الواقعية الاجتماعية النقدية في القصة العراقية. ومهيئين الأجواء الثقافية والسياسية لإنتفاضات الشعب العراقي ابتداءً من إنتفاضة 1936 وانتهاءً بثورتي 1958 و1968. حيث تسلم جيل الشباب زمام المبادرة ومواصلة ما ابتدأه الرواد من أعمال.

ويمكن ان نلخص أهم نقاط الضعف الأساس في المضمون والموقف الفكري للقاص لجماعة رواد القصة العراقية تجاه القضية الاجتماعية في النقاط الآتية:

1-سيادة الوعي الأيديولوجي البسيط، الاجتماعي الطابع، العاطفي والساذج، في مسألة تناول القضايا السياسية والاجتماعية والاخلاقية، ووجود عناصر رومانسية ومثالية في النظر للعلاقة بين الفرد والمجتمع عامة، وللعلاقة بين الرجل والمرأة خاصة.

2-سيادة الروح الإصلاحية والتوجيهية، ذات الطابع الوعظي التربوي، بدل الروح الثورية الراديكالية، ويرجع هذا إلى الهوة القائمة بين الانتماء الواقعي للطبقة السائدة، وبين الرغبة في الانسلاخ من هذه الطبقة، والتحول إلى الطبقات الفقيرة. ولذا فإن القصص التي حاولت أن تعبر عن آلام هذه الطبقات جاءت وكأنها تعوض عن الواقع وذات نغمة تقليدية جاهزة الإيقاع والأفكار والصيغ بعيدة عن المغامرة الفنية الثورية.

3-غياب المنهج النقدي والنظرة الفلسفية الشاملة، إنّ بساطة الوعي الاجتماعي والسياسي وضبابية المفاهيم وهشاشة العناصر الروحية والثورية، أدى إلى غياب الأبعاد الثقافية العالية عن تلك القصص، وأفقرها إلى الرؤية الشمولية لحركة التأريخ، فجاءت أغلب قصص الرواد ذات طابع عمومي مجرد حيناً، أو ذات التصاق فقير بالبيئة المحلية أو القضية الشخصية أحياناً أخرى.

4-الإعتماد على الحكاية التقليدية والخواطر الشخصية وضعف الموهبة الفنية والحساسية الجمالية؛ فقد أعتمدت قصص جيل الرواد أسلوب الحكاية أساساً لها، الحكاية المعتمدة على العلاقة الميكانيكية بين

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد(٨) – العدد (٤)، خريف ٢٠٢٣
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

السبب والنتيجة، بين العلة والمعلول، التي تثير فضول القارئ بالسؤال الأبدي: (ثم ماذا)! أكثر مما تثير فيه مكامن الخيال والوعي والإحساس، أي بمعنى آخر تعيده إلى إرث الحكاية الشعبية الساذجة، التي كان يمارسها الإنسان البدائي وأجدادنا الأوائل، وهم يتسامرون على موقد النار!!

ولذا فقد جاءت حبكات القصص مفككة، وبلا ضوابط مع خواطر القاص، بناؤها مترهل وشخصياتها مسطحة وعائمة، وموضوعاتها منتقاة بسهولة واعتباط.. ولم تستطع القصة العراقية في مرحلة الريادة الاستفادة من العناصر الفنية والتطورات المدرسية والأسلوبية التي كانت سائدة في القصة الأوربية، إبان النصف الأول من القرن العشرين، فبقيت معتمدة على حدود التجربة الشخصية التي يمكن أن تخطئ أو تصيب.

واذا انتقلنا من الخصائص السلبية إلى الخصائص الإيجابية، فإنّنا نرى أن تلك الخصائص السلبية في القصة العراقية، خلال مرحلة الريادة، واضحة للعيان أكثر من الخصائص الإيجابية النادرة والاستثنائية والتي يمكن تلخيصها، في أهم المثل الإنسانية العليا، العامة والمجردة، وبرغبة أصلية في الإصلاح الاجتماعي والسياسي، وموقف ثابت شجاع ضد الإستعمار والرجعية والتخلف، إضافة إلى الدور الريادي الذي شكل حجر الأساس في بناء القصة العراقية.

المصادر:

-أحمد، إبراهيم خليل و حمدي، جعفر عباس. (ب.ت). تأريخ العراق المعاصر. وزارة التعليم العالي والبحث العلمي. جامعة الموصل.
-أحمد، عبدالإله. (1977م). الأدب القصصي في العراق، جزءان. بغداد، العراق: دار الحرية للطباعة.
-أحمد، عبدالإله. (1986م). نشأة القصة وتطورها في العراق 1908-1939. بغداد، العراق: دار الشؤون الثقافية العامة.
-أمين، عبدالقادر حسن. (1977م). القصص في الأدب العراقي. بغداد، العراق: دائرة الشؤون الثقافية.
-ثامر، فاضل.. (1979م). القصة والتغير الاجتماعي. بغداد، العراق: دار الحرية للطباعة.
-الزهراء، فاطمة. (1984م). العناصر الرمزية في القصة القصيرة. القاهرة. دار نهضة مصر.
-سلام، محمد زغلول. (د.ت). دراسات في القصة العربية أصولها اتجاهاتها أعلامها. منشأة معارف الإسكندرية.
-طاهر، علي جواد. (1975م). في القصص العراقي المعاصر. بغداد، العراق: دار الحرية للطباعة.
-طاهر، علي جواد. (1987م). من حديث القصة والمسرحية. بغداد، العراق. الطبعة الأولى، مطبعة آفاق عربية.
-عبدالله، إيناس سعدي. (2014م). تاريخ العراق الحديث (1258-1918م). بغداد. دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع.
-الطلال، مؤيد. (1982م). الواقعية الاجتماعية النقدية في القصة العراقية. بغداد، العراق: دار الرشيد للنشر.
-العاني، شجاع مسلم. (د.ت). المرأة في القصة العراقية. بغداد، العراق: منشورات وزارة الإعلام.
-عزالدين، يوسف. (1974م). القصة في العراق جذورها وتطورها. بغداد، العراق: دار الكتب للطباعة.
مريدان، عزيزة. (1980م). القصة والرواية. دمشق. دار الفكر.
-النسّاج، سيّد حامد. (د.ت). تطور القصة القصيرة في مصر من 1910-1933. القاهرة، مصر: د.ط.
-النصير، ياسين. (1975م). القاص والواقع. بغداد، العراق: منشورات وزارة الإعلام، مطبعة دار الساعة.
-نوّار، عبدالعزيز سليمان. (1968م). تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا. القاهرة. دار الكتب العربي للطباعة والنشر.

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد(٨) – العدد (٤)، خريف ٢٠٢٣
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

قصص الرؤيا:
-أمين، عطاء. (آب وأيلول 1919م). كيف يرتقي العراق (رؤيا صادقة). بغداد، العراق: دار السلام، العددان 17-18، المجلد الثاني، السنة 2.
-فيضي، سليمان. (1919م). الرواية الايقاضية. البصر، العراق: مطبعة الحكومة، البصرة.
-الكيلاني، محمد فائق. (تشرين الأول 1914م). رؤيا أدبية. بغداد، العراق: لغة العرب، الجزء 4، السنة 3.
-لم يذكر اسم الكاتب. (1913م). سياحة في النوم. بغداد، العراق: لغة العرب، الجزء 5، السنة 2.
-لم يذكر أسم الكاتب. (شباط 1914). المال الحاكم. بغداد، العراق: لغة العرب، الجزء 8، السنة 3.
القصص والروايات:
-التكرلي، فؤاد. (1989م). الوجه الآخر. بيروت، لبنان: الطبعة الثالثة، دار الآداب.
-دوستويفسكي، فيودور. (2010م). الجريمة والعقاب. ترجمة سامي الدروبي. جزءان. بيروت، لبنان: المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى.
-السيّد، محمود أحمد. (1935م). في ساع من الزمن، مجموعة قصصية. بغداد، العراق: الطبعة الأولى.
الجرائد والمجلات:
الجرائد:
-الظريفي، حسين. (12 تشرين الثاني 1923م). تطور الأدب (مقال). بغداد، العراق: جريدة الأمل، العدد، 4.
-بقلم س.د. (25 تموز 1923). الثورة الأدبية (مقال). بغداد، العراق: جريدة العراق، العدد 971.
-المصباح. (مايس 1924م). بغداد، العراق: العدد 4، 1.
-لم يذكر اسم الكاتب. (5 تشرين الثاني 1923م). حياتنا العلمية والأدبية (مقال). بغداد، العراق: جريدة الأمل، العدد 3.
المجلات:
-أ. خالد. (13أيلول 1926م). ثلاث صور لشعراء العراق المعاصر (مقال). بغداد، العراق: الإستقلال، العدد 841.
-الرميحي، محمد. (15 يوبيو 1989م). أجيال وآفاق. مجلة العربي. الكتاب الرابع والعشرون.
-الطناجي، طاهر. (5 مايو 1958م). الحياة قصص. مجلة الهلال. العدد 5.
-عبدالعليم، مصطفى فاروق. (2008م). الإتجاه الاجتماعي في قصص بهاء السيد درتاسة موضوعية فنية. مجلة دار العلوم. جامعة المنيا. العدد 18، المجلد 1.
-العبطة، محمود. (1971م). رائد القصة وكتاب العصر. بغداد، العراق: مجلة الكتاب، عدد خاص (القصة العراقية)، مطبعة الشعب.
-عزمي، خالص. (1971م). القصة العراقية في الخمسينيات. بغداد، العراق: مجلة الكتاب، عدد خاص (القصة العراقية)، مطبعة الشعب.
-لم يذكر اسم الكاتب. (1924م). الحركة الفكرية في البلاد العربية قبس على ضفاف الرافدين. بغداد، العراق: الحرية، الجزء 5.
الإنترنت:
-د.طالب، عمر. (2014/5/10) في تأريخ القصة العراقية،
https://www.iraqkhair.com/vb/showthread.php?t=96866

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد(٨) – العدد (٤)، خريف ٢٠٢٣
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

بانگهێشکردنی پێشەنگەکانی چیرۆکی عێراقی بۆ گۆڕینی ڕەوتی کۆمەڵایەتی

پـوخـتـه:

کۆمەڵگای عیراقی لە نێوەی یەکەمی سەدەی بیستەمدا لە دەست نەزانی و نەخوێندەواریدا دەینالاند، خوێندن لەو کاتەدا هیچ گرینگیەکی ئەوتۆی نەبوو کە شایەنی باس کردن بێت، خوێندن لە عیراقدا لەو سەردەمانە تەنها بۆ کەمینەیەك وڵە هەندێك سەنتەرەکانی شارەکاندا بەردەست بوو.

بۆیە دەبینری کەوا رۆشەنبیران بە تایبەتیش چیرۆك نووسان لە دەست زۆر کێشەدا دەیانالاند کە هەندێکیان پەیوەست بوون خەراپی ڕژێمی سیاسی و هەندێکی تریشیان بە واقیعی کۆمەڵایەتی دوا کەوتوو کە تییایدا دەژیان. جا هەوڵی چاکسازییان داوە لە ڕێگای نووسینەوە، تا ئەو ڕادەیەی کە چیرۆکەکانی ئەو کاتی بوون بە ووتاری چاکسازی و کۆمەڵایەتی کە چیرۆك نووسی تیایدا هەموو هەوڵی خۆی بەگەر دەخست بۆ دۆزینەوەی چارە بۆ ئەو واقیعە کۆمەڵایەتی خراپە.

بەڵام چیرۆکنووسی نەیتوانی بگات بە ڕەگ و ڕیشەی ڕاستەقینەی ئەو دواکەوتنە بۆ هەوڵدانی چارەسەرکردنی، لەبەر ئەو هۆکارەش دەبینین کەوا هەوڵەکانیان بۆ دروست کردنی بزوتنەوەی چاکسازی بە گەرخست لە ڕێگای نووسینەکانیامەوە.

وە لە بەر ئەوە باس کردن و لێکولینەوەی گشت ئەو هەوڵانە لە توانای ئەو توێژینەوە بەدەر، هەر بۆیە تەنها هەوڵ دەدەین کە تیشك بخەینە سەر هەندێکیان بە مەبستي دەرخستني ئەو هەوڵانەی کە لە لایەن چیني پێشەنگەکانی چیرۆکی عیراقی دراوە بۆ گۆڕینی واقیعی خراپی کۆمەڵایەتی.

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد(٨) – العدد (٤)، خريف ٢٠٢٣
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

Calling The Pioneers Of The Iraqi Story To Change The Social Trend

Dr. Srood Kanaan Shakir
Department of Arabic, College of Education, Salahaddin University, Erbil, Kurdistan Region Iraq.
srood.shakir@su.edu.krd

Keywords: *Social trend, Story pioneers, Vision stories, Desire for change, Art story, Literary content, Literary form.*

Abstract

In the First half of twentienth century, the Iraqi community suffered from ignorance and illiteracy because education waz neglected and it was confined or specified to certain citty.

The educated people, among them the writers of short stories suffered from alot of problems that were related to the political system or even to the miserable reality of the society which they belonged and lived in.

Thus, throughout their writings, they tried to improve and reform their conditions. For that reason, the short stories were regarded as an essay to expose the reality of their community. But, they were unable to improve or even finding remedies for that misery.

The researcher tries to spot light on Iraqi writers of short stories and their efforts to change their nation.